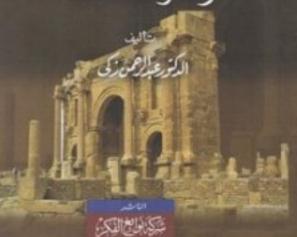


وآثارهاالفاتنة



غرناطة وآثارها الفاتنة

دكتور عبد الرحمن زكي

ا**لناشر** شركة نوابخ الفكر

الطبعة الاولى 2011 - - 1431 حقوق الطبع محفوظة للناشر شركة نوابغ الفكر

هاتف:25936402 مفاكس: 27865553 E-mail: nawabgh_elfekr@hotmail.com

يطاقة الفهرسة إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية إدارة الشنون الفنية

زكى ، عبد الرحمن غرناطة واثارها الفاتنه / عبد الرحمن زكى

طـ 1 القاهرة: شركة نوابغ الفكر للنشر والتوزيع

116ص ، 24 سم

تدمك : 978-977-6305-915

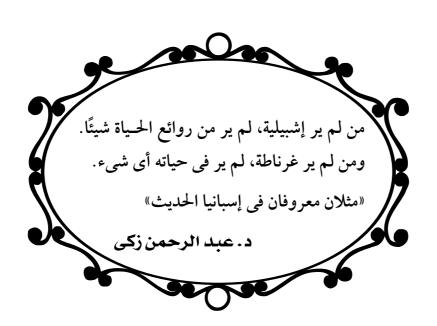
١- غرناطة- تاريخ

أـ العنوان

دىرى:953.071

رقم الايداع: 2011/13927

بسالم الله بردهن لرديم



بير إلله الرجمز التحت م

المقدمة

منذ صدر الإسلام، رأينا العرب يخططون الأمصار والمدن والقصبات وينشئونها. وقد اندثر بعضها أو قلت أهميته، في حين ازدهر بعض آخر، وتطور إلى مدن كبيرة، أصبحت منائر إشعاع للحضارة الإسلامية. فقد شيد عقبة بن غزوان في خلافة عمر بن الخطاب مدينة ابصرة (١٤هـ: ٦٣٥م)، ثم أسس أبو الهياج الأسدى مدينة الكوفة (١٧هـ: ١٣٨م)، وأقام عمرو بن العاص مدينة الفسطاط (٢١هـ: ٦٤١م) بمعاونة بعض قادته الذين نهضوا بتخطيطها. وأنشئت في العصر الأموى وحده أكثر من خمس وعشرين مدينة جديدة من بينها القيروان التي شيدها عقبة بن نافع (٥٠هـ: ٦٧٠م)، كما بني الحجاج الثقفي في أيام عبد الملك بن مروان مدينة واسط (٨٣/ ٨٤هـ: ٧٠٢/ ٧٠٣م) وذلك بالإضافة إلى منشئات شيدت للراحة والصيد، مثل قصر عمرة والمشتى وقصرى الحيرة الشرقى والغربي وغيرها. واختطت في العصر العباسي مدن عدة أخرى، منها العسكر التي بناها صالح بن على العباسي على أيام السفاح في شمال الفسطاط (١٣٣هـ: ٧٥٠م)، كما أسس أبو جعفر المنصور بعد ذلك سامراء في شمالها، فالقطائع، قاعدة أحمد بن طولون في مصر (٢٥٦هـ: ٧٧٠م)، والعباسة ورقادة وسوسة ووهدان وفاس في بلاد المغرب. واتسعت أرجاء مكة والمدينة ودمشق وحلب وقرطبة وعشرات غيرها من المدن العربية التي أصبحت مراكز للحضارة العربية تضيء العالم بنشاطها العلمي والفني.

فالعرب، إذن بناءون. . نعم بناءو مدن كثيرة، استقر فيها دينهم وحضارتهم على مر العصور، وما زالت تلك المدن حتى اليوم في طليعة مدن العالم الزاهرة، تتحدث كلها عن ماض تليد وتراث علمي خالد.

ونهضت في الأندلس العربية خاصة مدن شتى تبين ماضى العرب في تخطيط المدن، ومنها قرطبة وأشبيلية وغرناطة التي كانت قاعدة آخر دولة عربية حكمت في الأندلس على أثر قيام حركة الاسترداد الإسبانية: قرطبة اللؤلؤة الساطعة في عقد المدن الأندلسية وقال عنها أحد الشعراء العرب:

دع عنك حضرة بغداد وبهجتها

ولا تعظم بلاد الفرس والصين

فما على الأرض قطر مثل قرطبة

وما مشى فوقها مثل ابن حمدين

ولخص شاعر عربي مفاخرها بقوله:

بأربع فاقت الأمصار قرطبة

منهن قنطرة الوادى وجامعها

هاتان ثنتان والزهراء ثالثة

والعلم أعظم شيء وهو رابعها

وسطعت أشبيلية في أيامها العربية وخاصة في أيام بني عباد، ملوك الطوائف في أواسط القرن الحادي عشر (م) وكانت حاضرة مملكتهم العظيمة، وسطعت كذلك خلال حكم الموحدين حيث كانت قاعدة حكمهم بالأندلس زهاء قرن من الزمان من منتصف القرن الثاني عشر إلى منتصف القرن الثالث عشر، ثم سقطت في أيدى القشتاليين في شهر نوفمبر سنة ١٢٤٨م.

* * *

أما غرناطة، فتتحدث عنها بإيجاز.. في هذه الصفحات.. وغرناطة تركت أثراً أبعد مما تركته شقيتها الأندلسية «قرطبة» على الرغم من أن ظهور غرناطة في التاريخ العربي الأندلسي كان متأخراً عن ظهور قرطبة. فإننا نذكرها دواماً لما تركته من الأسي في صدورنا! لقد فاخر عرب الأندلس بغرناطة ويذكر المؤرخ المقرى أن واحداً قارن «شنيل» نهر المدينة، بألف نيل، حيث قال:

وما لمصر تفخر بنيلها ، وألف منه في شنيلها!

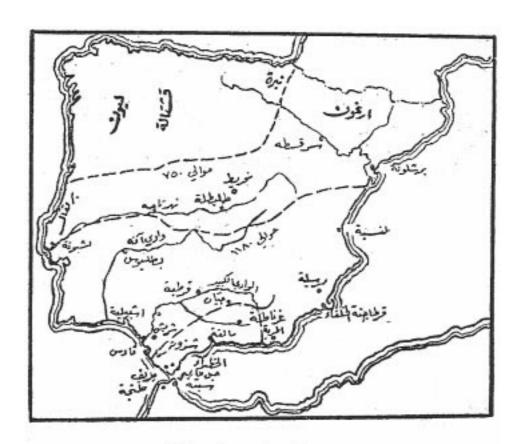
عبد الرحمن زكي



وصلت الفتوح العربية في شمال أفريقيا إلى ذروتها تحت قيادة موسى ابن نصير في عام ٧٠٩م، فختمت المرحلة الأفريقية، ومن ثم بدأ الإعداد للمرحلة التالية.

كانت إسبانيا في ذلك الحين، أي إلى الفتح العربي دولة مسيحية اسميًا، فقد كانت آخر إقليم في نطاق الإمبراطورية الرومانية متمسكة بالوثنية، ويبدو أنه تحت حكم القوط، لم يبذل جهد يذكر لتحويل أهلها إلى النصرانية. وكان سكانها قد تحملوا الكثير من العسف وأقسى ألوان الظلم، وعاشوا تحت ظل العبودية والإقطاع والفقر. ولذلك كان من اليسير عليهم، في تلك الظروف التعيسة، أن يتلقوا دعوة الإسلام، ويرحبوا ترحيبًا حارًا بالقادمين الجدد، كما فعل أهل مصر البيزنطية حينما استقبلوا المسلمين تحت قيادة عمرو بن العاص.

كان القوط يحكمون إسبانيا منذ عام ١١٨م حتى جاءها العرب عام ٧١١م. وكان مقر بلاط ملوكهم فى تولز، أما قاعدتهم فى إسبانيا فكانت طليطلة. ويمكن القول أنه حتى القرن السادس، لم يكن حكم القوط فى إسبانيا قد دعم تمامًا. وكان يتولى الملك العرش بطريق الانتخاب. وبعد أن استقرت الكاثوليكية فى البلاد تقاسم الحكم الملوك ورجال الكهنوت على ما يبدو. وكان اليهود فيها لا يعاملون بالحسنى بالرغم من أنهم كانوا من دعائم



مراحل الفتح العربي في الأندلس

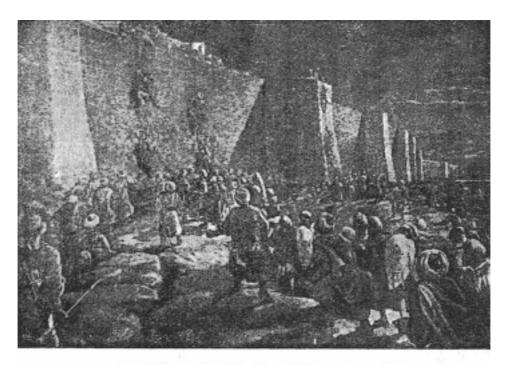
الثروة والازدهار، ولذلك ساعدوا العرب على فتح البلاد وحكمها بعد ما أدركوا عدلهم وسماحة دينهم.

وحانت الفرصة في عام ٩٠٧م، حينما اتصل ابن أحد ملوك القوط في إسبانيا بالعرب وعرض عليهم مساعدته، إذا أعادوا العرش لأبيه من مغتصبه روذريق. وقام الكونت يوليان الرومي حاكم طنجة بالوساطة بين العرب والأمير القوطي. وبعد أن اعترف لهم بالولاء عينوه حاكمًا على سبتة.

وصلت بعثة يوليان إلى طارق بن زياد حاكم طنجة المسلم، وبعد أن تحدث مع المبعوثين، أرسلهم إلى رئيسه موسى بن نصير في القيروان. وسرعان ما أذن له الخليفة الوليد بن عبد الملك بإعداد حملة عسكرية لفتح إسبانيا. . فتم تجهيزها من العرب والبربر.

وفى عام ٧١٠م خفت حملة استكشافية مؤلفة من البربر لريادة المنطقة التى سوف تنزل فيها الحملة، وللتعرف على أحوال مسالكها وطبيعة بلادها. والمعروف أن هذه الطليعة كانت بقيادة طريف. وفى العام التالى أى فى ١٧١٨م، كان القائد طارق وبصحبته يوليان الرومى قد نزلا إلى البر الإسبانى عند جبل طارق، ثم اتجه الجيش من الجنوب إلى الشمال فى خط مستقيم تقريبًا حتى استولى على طليطلة (جنوب غرب مدريد) فى سبتمبر ١١٧م، وبعد طليطلة استمر طارق فى مسيره فى اتجاه شمالى شرقى حتى بلغ ألكالادانيارس (قلعة عبد السلام)، وهناك أتاه أمر من رئيسه موسى بن نصير بأن يعود إلى طليطلة، وينتظره فيها.

خف موسى من الجنوب إلى أشبيلية، فاستولى على باجة ويابرة، ثم على ماردة بعد قتال وحصار طويلين. وكان لذريق قد نجا من معركة وادى لكة، ولجأ إلى حصون قرب ماردة. وهناك تقدم لقتال موسى، فهزم وقتل. ومن ماردة تقدم موسى، فاحتل طلبيرة (تالافيرا دى لارينا) جنوبى غربى طليطلة. وفى ذلك المكان لقيه طارق وأسلم له القيادة. وفى ذلك الحين أعلن موسى أن الحاكم الشرعى لإسبانيا هو خليفة المسلمين فى دمشق. ثم سارا معا، ففتحا سرقسطة، واتجها شمالاً بغرب مع نهر أبرو، ففتحا قلهرة، وبنبلونة، ثم أماية - فاستدرجا، ثم لك (لوجو)، ثم أبيض (أوفييدو)، ثم



العرب في حصار قرطبة يتسلقون جدرانها ٧١٢ م

خيخون، فأتما بهذا فتح إسبانيا. وتركا حامية قرب خيخون، وعادا إلى طليطلة، ورجعا منها بأمر من الخليفة الأموى إلى أفريقيا، ثم دعيا للمثول بين يديه في دمشق (٧١٤).

تولى قيادة الجيش بعدهما عبد العزيز بن موسى (الذى أصبح واليًا على الأندلس نيابة عن أبيه). فأتم ما بقى من شرق إسبانيا وفى غربها، فاستولى على مالقا وقطاع البيرة - غرناطة اليهود، ووقعت فى قبضته لبلة (نييبلا)، ويابرة (ايفورا)، وشنترين (سانتا ريم) فى البرتغال.

* * *

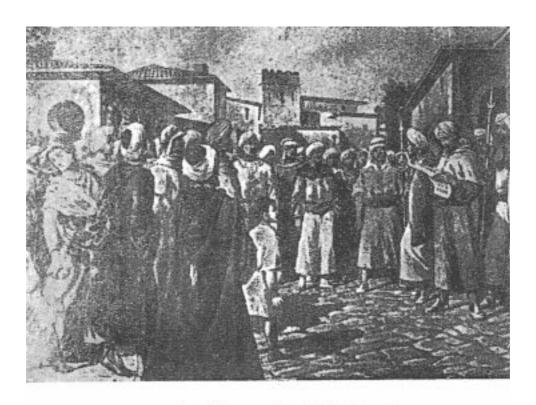
هذه مرحلة الانطلاق الأول في موجة الفتح العربي للأندلس. لم تستغرق سوى أربع سنوات وعدة أشهر (٧١١ - ٧١٥)، وصل العرب فيها إلى جبال البرانس الفاصلة بين إسبانيا وفرنسا. وقد استعاد الإسبان إقليمهم هذا الذي احتله العرب في سنوات قلائل - استعادوه في ثمانية قرون! لقد كان هذا الفتح معجزة من المعجزات.

وعلى أى حال، نقول إنه فى أعقاب فترة الفتح، جاءت فترة أخرى امتدت قرابة أربعين سنة (٧١٥ - ٧٥٥) كان الأندلس فى خلالها ولاية تابعة لدمشق مركز الخلاف الأموية. ومع ذلك فقد انحسر ملك العرب خلاله قليلاً.

ثم أقبل إلى الأندلس (٧٥٥) عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)، وأنشأ إمارة قرطبة عام ٧٥٦، بعد رحلة شاقة جاب في خلالها أقطار الشمال الأفريقي حتى وصل إلى سبتة. ومنها أوفد مساعده بدر ليكشف عن أحوال الأندلس وليرى إذا كان سيلقى التأييد من الزعماء العرب أم أنهم سيصدونه.

ومن حسن الطالع أن مهمة بدر كللت بالنجاح، فأسرع بالاتصال بالأمير عبد الرحمن للقدوم إلى الوطن الجديد. وبعد أيام رست سفينة عند مالقة حيث كان بعض الزعماء في استقباله. وفي العام التالي (٧٥٦) حصل على ولاء معظم القادة من العرب والبربر.

هكذا قدر بعد مرور ست سنوات على سقوط الخلافة الأموية في دمشق، أن نهض أحد أفراد الأسرة الأموية نفسها - بعد أن قضى العباسيون عليها - فشيد صرح ملك جديد دام حوالي ٢٥٠ سنة كانت قاعدته في قرطبة ثم أشبيلية فغرناطة.



تسليم طليطلة لعبد الرحمن الثاني عام ٨٣٨ م

لم يتخذ عبد الرحمن (٧٥٥ - ٧٨٨) لنفسه لقب الخلافة، بل إنه اكتفى بلقب السلطان أو الأمير. أما لقب الخليفة، فقد اتخذه عبد الرحمن الثالث بعد مرور مائتى سنة تقريبًا على وصول سميه الأول. ونهض بعد عبد الرحمن الأول سبعة أمراء يعرف عنهم بأنهم خيرة من عرف العرب والمسلمون من حكام - كفاية وعدلاً وحزمًا، كان منهم هشام بن عبد الرحمن (٧٨٨ - ٧٩٨)، فالحكم بن هشام (٧٩٦ - ١٨٨)، فمحمد بن عبد الرحمن (٨٥٢ - ٨٨٨)، والمنذر بن محمد (٨٨٨ - ٨٨٨)، وعبد الله بن محمد (٨١٨ - ٨٨٨)، والمنذر بن محمد الرحمن الثالث، المعروف بالناصر، ويعتبر أعظم الحكام الذين عرفتهم إسبانيا المسلمة. وأصبحت قرطبة في أيامه درة العالم وكعبة

الحضارة. وكان عبد الرحمن الناصر أول من اتخذ لقب «الخليفة» (٩٢٩م) وتسمى بـ «الناصر لدين الله». ومنذ ذلك الحين أصبح في العالم الإسلامي ثلاث خلافات: العباسية في بغداد، والفاطمية في القاهرة، والأموية في قرطبة.

ولما توفى عبد الرحمن (٩٦١ م)، تولى الحكم من بعده الحكم بن عبد الرحمن المعروف بالمستنصر (٩٦١ م ٩٧٦)، ثم هشام بن الحكم المعروف بالمؤيد (٩٧٦ م ١٠٠٨) ولما كان غلاماً صغيراً حينما تولى الأمر، سيطر واحد من رجال الدولة وهو محمد بن أبى عامر على الحكم، واستطاع أن يجعل من نفسه الحاكم الفعلى، وتلقب بالمنصور. وقد تمكن من توسيع رقعة الإسلام في الأندلس(١) فتخطت نهر دويرة، وارتفعت إلى شماله عند نهر المينو، وضمت جزءاً كبيراً من إمارة نافار (نبرة).

ولما مات المنصور خلفه اثنان من أبنائه، ثم أخوه عبد الرحمن. وفي أيام هذا الأخير ثار الأندلسيون وبدأت فتنة أهلية، وتعاقب على عرش الخلافة في أثنائها عدد من الخلفاء من بني أمية أولاً، ثم من أسرة تعرف ببني حمود، ثم استردها بنو أمية، حتى إذا تولى آخر بني أمية الأندلسيين، ويسمى هشاما المقعد، كان أهل قرطبة قد سئموا الفوضى، فاجتمع رؤساؤها وقرروا إلغاء الخلافة الأموية سنة ١٣٠١م. ومن ثم تقسمت البلاد إلى إمارات مستبدة تعادى كل منها الأخر، وبدأ في تاريخ الأندلس ما يعرف بعصر ملوك الطوائف.

⁽١) د. مؤنس: رحلة إلى الأندلس، ص ٢٥ - ٢٦.

ملوك الطوائف

فى أثناء ضعف خلافة قرطبة، انتهز ملوك النصارى فى الشمال هذه الفرصة، فوسع كل منهم سيادته على حساب المسلمين. فانحدرت حدود الأندلس إلى نهر تاجة، فيما عدا الناحية الشرقية، إذ ظلت حدود الأندلس، هناك فى حوض نهر إبرو، أى أن الأندلس لم يعد يشمل إلا نصف شبه الجزيرة.

ففى عام ١٠٨٥ استولى ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون على أكبر مالك الطوائف، وهى طليطلة. ومنذ ذلك التاريخ لم يعد الأندلس يشمل إلا ثلث شبه الجزيرة فقط!

أدرك الأندلسيون الخطر فاستنجدوا بأهل المغرب، وكانت دولة المرابطين قد نهضت في شمال أفريقيا، وسرعان ما أقبل رئيسها يوسف بن تاشفين لنجدة ملوك الطوائف المنقسمين على بعضهم، فهزم الملك ألفونسو السادس في معركة الزلاقة (٢٣ أكتوبر ١٨٠١م)، وكان من معارك المرابطين الظافرة في الأندلس، معركة أقليش (٣٠ مايو ١١٠٨م)، وافراغة (يونيو ١١٤٣م). وأبطال تلك المعارك يوسف بن تاشفين في الزلاقة، وتميم ابنه في أقليش، ثم يحيى بن غانية في افراغة!

المرابطون:

وكان المرابطون قد نشأوا في صنهاجة ثم قامت دولتهم أولاً بالمغرب وبرز فيها يوسف بن تاشفين مؤسس مدينة مراكش. ولما استنجد به ملوك الطوائف ووقف على ضعفهم ألحق بلادهم بمملكته وعاد إلى فاس واتخذها

عاصمة ملكه. ولما مات (١١٠٦م) خلف دولة امتدت من السنغال إلى نهر الأيبر، وفن الأطلسي إلى الجزائر.

الموحدون:

وقعت غرناطة تحت حكم المرابطين بعد إزالتهم أسرة الزيريين، فنصب هؤلاء من قبلهم الحكام من عام 8.4 = 0.0 م إلى 0.00 = 0.00 مقطت في يد الموحدين. وكان أول وال مرابطي في غرناطة اسمه أبو محمد عبد العزيز، وجاء من بعده الأمير يحيى بن وسينو.

وعلى مر الأيام ضعف أمر المرابطين، وقام عليهم الموحدون في المغرب، فثار نفر من الأندلسيين، وعادت الفتنة، وفي أثنائها استولى ملك أراغون على الثغر الأعلى، وقاعدته سرقسطة سنة ١١١٨، بهذا أصبح الأندلس لا يشمل سوى ربع شبه الجزيرة!

وفى عام ١١٥٠ عبر الموحدون إلى الأندلس ليعملوا على الحفاظ على ما بقى منه، ونجحوا فترة قصيرة، فانتصروا على المسيحيين فى معركة الأرك (١٩٥ يوليو ١١٩٥م)، ثم لم يلبثوا أن انهزموا فى معركة العقاب (لاس نافاس دى تولوز – ١٧ يوليو ١٢١٢م)، وتعتبر هذه السنة نهاية حكمهم الفعلى فى الأندلس.

وفى خلال الصراع بين المرابطين والموحدين، سقطت عدة مدن إسلامية فى أيدى النصارى، منها: طرطوشة (١١٤٨)، ولاردة (١١٤٩)، وقلعة رباح (كالاترافا) (١١٥٧)، والمنطقة التى تعرف حاليًا بالبرتغال (١١٥٧ - ١١٧٧) ثم جيان (١٢٣٢) وفى عام ١٢٣٦ سقطت قرطبة عاصمة الأندلس كله، ثم

بلنسية (١٢٣٨)، ثم مرسية، فكل شرق الأندس حتى مالقة (١٢٤١)، ثم سقطت أشبيلية (١٢٤٨)، وتبعتها شذونة، وأركش وقادش!!

وفى وسط هذه المحن القاسية المتتالية، قاوم الفقهاء والمجاهدون هذا السيل النصرانى - تمامًا كما فعل زملاؤهم فى المشرق أمام ضربات الصليبين فى البلاد المقدسة. فاستشهدوا فى سبيل الله. وكان منهم: أبو على الصدفى، وأبو الربيع سليمان بن سالم وكانت سنه قد تخطت السبعين، وظل فى المعركة يجاهد حتى أكلته السيوف، ومنهم محمد بن يوسف بن هود، البطل المقدام الذى قطع الأندلس من بلنسية إلى ماردة والسيف فى يده حتى استشهد فى قفار المنشا على مقربة من حصن صغير، كان يعرف بالبسيط(١).

يذكر حسين مؤنس في «رحلة الأندلس» أنه في وسط هذا الطوفان، استطاع فارس عربي أندلسي هو محمد بن الأحمر أن يعتصم في غرناطة وما حولها حتى وادى آش في الغرب، ومالقة في الشرق، ثم أنشأ إمارة عربية تجمعت فيها جماعات من المهاجرين المسلمين من البلاد التي سقطت، وحصن هذه النواحي تحصينًا منيعًا، واستطاع أن يصمد لهجمات الممالك المسحية ابتداء من عام ١٢٣١(٢). وفي هذا القطاع الجنوبي الصغير صمدت مملكة غرناطة الإسلامية قرنين ونصف قرن حتى قضى عليها في ٢ يناير ١٤٩٢م.

هكذا أفل نجم الفتح العربى في الأندلس بعد ثمانمائة سنة. ففي أعقاب الفتح العربى الأول وأبطاله موسى بن نصير، وطارق بن زياد، وعبد العزيز بن موسى، كانت سيادة العرب قد شملت شبه الجزيرة كلها (إسبانيا والبرتغال

⁽۱) د. حسین مؤنس: ص ۲۳۱.

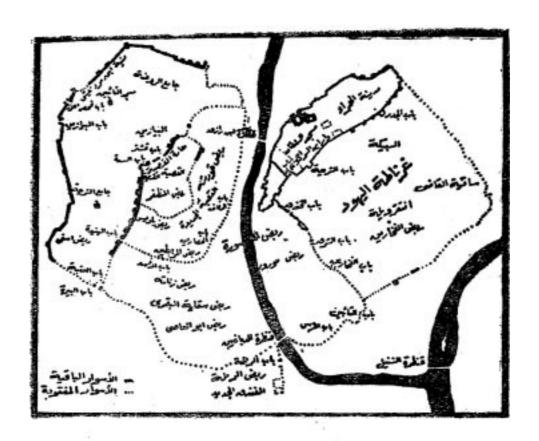
⁽٢) هناك رأى يقول بعد وفاة ابن هود (١٢٣٨م).

اليوم)، وفي عصرى الإمارة والخلافة، كانت الحدود الشمالية تصل إلى نهر دويرة، ثم تتصل مع حوض نهر إبرو.. وفي عصر ملوك الطوائف انحدرت إلى مجرى نهر آنة.. وفي عصرى المرابطين والموحدين لم تتعد الحدود نهر الوادى الكبير، فيما عدا الناحية الشرقية التي ظلت كاملة تقريبًا في أيدى المسلمين حتى عام ١١١٨ أى إلى سقوط سرقسطة. وفي عصر بني الأحمر ملوك غرناطة انحصر الأندلس جنوبي نهير من نهيرات الوادى الكبير يسمى ملوك غرناطة ودخلت في الأندلس الإسلامي الجزائر المتوسطة في غربه المعروفة غرناطة ودخلت في الأندلس الإسلامي الجزائر المتوسطة في غربه المعروفة بالبيار، وقد خرجت هذه الجزر عن الأندلس بعد سقوط بلنسية سنة ١٢٣٨ في أيدى ملوك أراغون واحدة بعد أخرى..

ثم ضاع الأندلس واستردته إسبانيا المسيحية (١٤٩٢).

* * *





غرناطة في العصر الاسلامي

لم تصل مدينة غرناطة إلى مكانتها التى شهرت بها كعاصمة لدولة الأندلس إلا في أوائل القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)، وذلك حينما أدرك بنو زيرى الصنهاجيون (وكانوا يحكمون في قلعة بنى حماد، ثم في بجاية) أن سلطان غرناطة قد بدأ يهوى. فاتصلوا بوزير هشام الثانى، عبد الملك المظفر ابن المنصور بن أبى عامر يعرضون عليه خدماتهم، فكان الجواب مرضياً. وسرعان ما رحلوا مع جماعة من رجال قبيلتهم وأعوانهم تحت زعامة زاوى بن زيرى. ويشاء حسن الطالع أن تصبح هذه الجماعة بعد قليل أهم

طوائف الجيش البربرى الذى أنشأه بنو عامر. ولما مات عبد الرحمن سنشول، ناصروا قضية زعيم جماعة البربر فى الأندلس - وهو سليمان المستعين، وعملوا على أن يتولى الخلافة. وقابل سليمان هذا الجميل بأن أقطع رؤساء أتباعه الإقطاعات الكبيرة. وكان من أهمها إقطاع ناحية البيرة (١). وقد اشتمل على الأراضى الغنية فى وادى نهر شنيل وكذلك على الهضاب الصخرية المجاورة.

اتفق معظم المؤرخين وجغرافيي الأندلسيين على جمال غرناطة وخصوبة سهولها، وكان بنو زيرى في طليعة الذين أدركوا أهمية موقعها الخصيب، ولا سيما أميرهم «عبد الله». فلا عجب أن يتعاون الأندلسين والبربر على تشييد وإحياء مدينة غرناطة، كل يبنى له مسكنًا، ثم آلت البيرة إلى الخراب والإهمال.

لنرجع قليلاً إلى أيام الفتح الإسلامي الأول للأندلس. فقد ندب القائد موسى بن نصير ابنه عبد العزيز لفتح البلاد التي لم تخضع بعد له في شرق الأندلس، وليفانت. فلما كان عبد العزيز في طريقه لإخضاع إمارة مرسية (Orihuela) احتل مالقة وقطاع البيرة - غرناطة، وفي أعقاب ذلك تولى أبو الخطار الحسام بن الضرار إمارة القطاع (١٢٥هـ = ٣٤٧م). وأقطعه إلى أجناد دمشق السوريين. وكان شيوخ هؤلاء من المعاضدين للأمويين الذين عاونوا الأمير عبد الرحمن الأول حينما نزل بأرض الأندلس. وقد شاهدت كورة البيرة آنذاك النضال الدموى الذي وقع بين المولدين المخلصين للحكومة المركزية

⁽١) عرفت بهذا الاسم لأنها استمدته من المدينة القديمة البيرس. ثم احتلت جارتها غرناطة أهمية المدينة القديمة، وقد بدأت ضاحية يسكنها اليهود..

الأندلسية وبين العرب بزعامة سوار بن حمدون. وكان هذا في أثناء حصار منافسيه قصر الحمراء، وقد استطاع الخروج من قاعدته بحركة جريئة، وأجبر الأندلسيين على الفرار عقب معركة عرفت باسم «واقعة المدينة». ومن ثم لجأ الجنود المهزومون في خدمة ابن حفصون، الذي جمع شمل بعض القوات وقصد إلى البيرة ليستأنف النزال في سهل شنيل، ودارت عدة معارك مظفرة وفاشلة حتى فقد الأمل في الانتصار على أيام الخليفة عبد الرحمن الثالث.

استمرت المنطقة تعرف بالبيرة أعوامًا كثيرة لأهميتها المتفوقة على غرناطة. وكانت تلك حتى القرن التاسع الميلادى لا تتجاوز قرية كبيرة ذات أسوار تقع على الشاطئ الأيمن لنهر درو عند التقائه بنهر شنيل. وكان غالبية سكانها من اليهود، وأقليتهم من المسلمين وليس فيها أحد من المسحيين ولذلك عرفت بغرناطة اليهود. وكان أمامها - وعلى نشز صخرى يشرف على الضفة الغربية درو، قلعة قديمة سميت بالحمراء، نظرًا لتشابه لون التربة التى أحاطت بها. وهذه الحمراء هي التي أصبحت بعد قرون قاعدة ملك النصريين أخر سلالة الملوك العرب الذين حكموا الأندلس.

غرناطة تقف على قدميها:

يرجع مولد غرناطة الحقيقى إلى القرن الحادى عشر الميلادى حينما تصدعت وحدة الأندلس على أيام ملوك الطوائف والأمراء. ومن بين هؤلاء كان قائد من رجال المغرب اسمه زيرى بن مناد. كان قد أتى مع نفر كبير من قومه الصنهاجيين ثم وقعت الفتنة الكبرى أوائل القرن الحادى عشر. وقامت الحرب الأهلية بين قادة جيوش الخلافة وبعد أهوال لجأ زيرى وابن أخيه حبوس إلى غرناطة واتخذها عاصمة له، فأعاد بناء أسوارها وأبراجها واتخذ

لنفسه ورجـاله فيها قصوراً ومـساجد^(١). وكانت غرناطة بني زيري تقوم في السهل الفسيح الممتد بين تلى غرناطة. تل الحمراء شرقًا، وتل البياسين غربًا. ولا يزال جزء من أسوار هذه المدينة العتيقة باقيًا وهو الجزء الذي يشتمل اليوم على باب الببرة. ثم باب المنية (ويعرف اليوم بباب منايتة) ثم بوابة الموازين. وحينما تقابل كنيسة السفادور فأنت في مكان مسجد غرناطة القديم. كانت أسوار غرناطة في تلك الأيام تصل إلى سفح الساكرومونتي (الجبل المقدس) وهو جزء من تل البياسين، ومن هناك كان السور ينحرف شرقًا مارًا ببيت عربي يعرف ببيت الجباس الذي تقوم فيه اليوم مدرسة الأبحاث العربية في غرناطة. . وبعد سير السور قليلاً يتسلق السور سفح تلك الحمراء حتى يصل إلى الهضبة التي تقوم عليها قصور الحمراء اليوم. وعلى هذه الهضبة وضع بنو زيرى أساس تحصينات الحمراء التي ستصل إلى ذروتها بفضل بني زيري. . وخلف هذه الأسوار قامت غرناطة العتيقة التي يرجع الفضل في إنشائها إلى اثنين من أمراء بني زيري الصنهاجيين، هما حبوس بن ماكن (۱۰۱۹ – ۱۰۳۸)، وبادیس بن حبوس (۱۰۳۸ – ۱۰۷۳). ولا تزال أطلال قصور بني زيري قائمة إلى اليوم بالقرب من دار الجباس حيث تقوم بقايا بعض دور عربية وبقايا الحمام الصغير (El Banuelo).

كانت أهم أحداث غرناطة أثناء حكم بنى زيرى: حصار الخليفة المرتضى لها لطرد الزيريين منها بيد أنه منى بهزيمة منكرة واضطر إلى الفرار والاتجاء إلى قادش. وبعد أن تحقق فوز الزيريين غير المنتظر، دعمت الأسرة أحوالها، ولا سيما على أيام إمارتى حبوس وباديس بمؤازرة الوزيرين اليهو ديين صمويل وابنه يوسف بن نجر الله.

⁽١) حسين مؤنس: غرناطة. مجلة العربي، العدد ٨٩، أبريل ١٩٦٦، ص ٧٥ – ٩٨.

وكان الأمير باديس قد بلغ من العمر عتيًا، وزادته الأحداث تجاربًا وخبرة، وكان يحس دومًا أن هناك ما يهدد أمن إمارته، فبذل الكثير من الأموال لدعم أسوار قصبة غرناطة لتكون في مأمن من هجوم أعدائه حينما يتربصون الفرص: أو رعاياه المكبوتين عندما يرفعون راية العصيان ضد أميرهم. والشيء الذي كان يجول بخاطره، أن يمتنع داخل القصبة ويدافع رجاله عنها حتى يستطيع الفرار ناجيًا بنفسه إلى أفريقيا.

غرناطة المرابطين:

وهنا حادث آخر يتصل بغرناطة على أيام آخر حكام الزيين: عبد الله بن بلكين حفيد باديس الذى يدأ حكمه وهو في سن الطفولة. وما كاد يصل إلى سن الشباب حتى بدأت الدسائس والمؤامرات يدبرها رجاله ضده، بينما تتوالى الحروب بينه وبين منافسيه من الأمراء المسلمين المجاورين، أو من الملوك النصارى. ولم ينج في نهاية تلك الأخطار المشتعلة في داخل ملكه وخارجها من عداوة المرابطين الذين قدموا إلى الأندلس بدعوة من بعض أمراء الطوائف. فأخذ يشيد الحصون ويدعم الأبراج، ويقوى الأسوار المتصلة بقصبة غرناطة لكى يرد المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين. ولكن ما كاد هؤلاء يصلون إلى خارج أسوار المدينة حتى نصحه الوزراء وأمه أن يقلع عن المقاومة فاستسلم لرأيهم واتضح جبنه حينما خرج من القصبة عن رأس رجاله واستقبل يوسف بن تاشفين، وأمر بفتح أبواب غرناطة، ثم قدم له الكنوز التى احتوتها القصبة هدية للأمير الفاتح! وكان ذلك في عام ١٩٨٣هـ التي احتوتها القصبة هدية للأمير الفاتح! وكان ذلك في عام ١٩٨٣هـ زيرى من غرناطة وأصبحت المدينة منذ ذلك الوقت مع إقليمها تكون جزءاً

هامًا من أملاك المرابطين في الأندلس شأنها شأن غيرها من مناطق إسبانيا الجنوبية وبقيت المدينة تحت ولايتهم حتى ٥٥١هـ - ١١٦٦م حينما آلت إلى حكم الموحدين. وفي ظل المرابطين كبرت غرناطة وازداد عمرانها حتى أصبحت في أيامهم والموحدين من بعدهم حتى القرن الثالث عشر الميلادي من أهم وأكبر مدن الأندلس. فاتخذها الأمير أبو الطاهر تميم بن يوسف والى البلاد زمن شقيقه الأمير على بن يوسف مقرًا له.

كان أول حكام غرناطة المرابطين أبا محمد عبد العزيز وخلفه الأمير يحيى بن وسينو من أقرباء يوسف بن تاشفين وجاء من بعده أبو الحسن بن الحجيج الذى هاجمه ألفونسو السادس في مدينا شيللي وانتصر عليه واستشهد أبو الحسن في المعركة وتولى الحكم بعد شقيقه أبو الحسن وهو محمد بن الحجيج الذى جاء على رأس قوات غرناطة لنجدة والى أشبيلية وكانت مقاطعته قد هددها مرة أخرى ألفونسو السادس، وعلى مقربة من أشبيلية عند المقاطع أجبر على التقهقر بعد أن تحمل خسائر فادحة. وفي العام التالي يقابلنا أبو بكر بن يوسف في تولية زعامة المرابطين فلم يساعد أهل غرناطة وقبض عليه وأرسل إلى مراكش. وفي أثر تلك المقاومة الفاشلة جاء على إلى الأندلس وبرفقته شقيقه الأكبر أبو الطاهر تميم لينقضيا على أثر للمقاومة الفاشلة، وكان قد عين شقيقه تميم بن يوسف واليًا على غرناطة. وفي هذه الفترة لعبت غرناطة دورًا هامًا خلال الحملة التي بدأها ألفونسو الأول المحارب ملك أراجون ضد أملاك المسلمين في عام ١١٢٥م، واستمرت خمسة عشر ملك أراجون ضد أملاك المسلمين في عام ١١٢٥م، واستمرت خمسة عشر ملك أراجون ضد أملاك المسلمين في عام ١١٢٥م، واستمرت خمسة عشر ملك أراجون ضد أملاك المسلمين في عام ١١٢٥م، واستمرت خمسة عشر ملك أراجون خلالها بمعاونة نـزلاء غرناطة من المستعـمرين (١) أن ينشر الذعر

⁽۱) د. محمد توفيق بلبع: غرناطة وقصر الحمراء. المجلة التاريخية المصرية، مجلد ١٦ عام ١٩٦٩، ص ٦٧ – ١٠٠.

والخراب في أملاك المسلمين، كما تكن من مهاجمة غرناطة وضرب الحصار عليها وكاد يقتحمها لولا قوة تحصيناتها وشجاعة المدافعين عنها والمدد الذي وصلهم من المغرب، مما اضطر المهاجمين إلى رفع الحصار ومتابعة الحملة في المناطق الأخرى الجنوبية، حتى وصلت جيوشهم إلى مدينة أرينسول جنوبي غرناطة وعندها نشبت معركة كبيرة بين قوات ألفونسو وجيوش الأمير تميم التي كانت تتعقبه (۱) إلا أن ملك أراجون انتزع النصر في النهاية من أعدائه الذين الهتهم الغنائم بعد تفوقهم في الضربة الأولى (مارس سنة ١١٢٦). وفي أعقاب تلك الهزيمة أعفى تميم من منصبه في غرناطة وخلفه أبو عمر عنا له أكبر أحفاد يوسف بن تاشفين وكان واليًا على فاس.

ولم يستقر أبو عمر طويلاً في عمله فقد أقاله على في مايو ١١٢٨م وأجبر على العودة إلى مراكش. وكان والى غرناطة الجديد أبا حفص عمر بن على بن يوسف الذي خلع بعد أربعة أشهر. . . وكان آخر ولاة المرابطين على غرناطة على بن أبى بكر بن على ابن شقيقة يوسف بن تاشفين.

استمر اتساع العمران في غرناطة في زمن الموحدين، فقد بلغت مساحة المدينة المسورة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد ما يقرب من خمسة وسبعين هكتارًا، وكانت تضم أكثر من أربعة آلاف وأربعمائة دار، يقيم فيها أكثر من ستة وعشرين ألفًا وأربعمائة نسمة (٢). ثم جاءت الأيام التي اشتد فيها الهجوم المسيحي على الموحدين فلم يستطيعوا عمل شيء. والأثر الوحيد الباقي في غرناطة من عصرهم، هو قصر صغير في أقصى غرب

⁽١) المستعربون هم الإسبان المسيحيون الذين اعتنقوا الإسلام وتكلموا اللغة العربية.

[.] Torres Balbas: A; Andalus, Vol, XXI, fasc. I, pp. r39 - r40 (Y)

المدينة يسمونه اليوم قصر نهر شنيل واسمه الأصلى قصر السيد إسحق بن يوسف بن عبد المؤمن^(۱) الذى ولاه الخليفة الموحدى المستنصر حكومة غرناطة سنة ١٩/١٢١٨م. فشرع فى بناء هذا القصر ثم شيد فى مواجهته رباطًا للعبادة، وقد حول هذا الرباط إلى دير نصرانى باسم دير ومصلى القديس سباستيان: وقد استعمل القصر بعد ذلك دار ضيافة.

غرناطة بنى الأحمر (بنى نصر):

لا شك أن عظمة غرناطة وازدهارها من الناحية الفنية ترجع إلى بنى الأحمر، فيمع قدوم هذه الأسرة ومؤسسها محمد بن الأحمر، استقر فيها حكمهم من عام ١٣٥٥هـ – ١٢٣٨م حتى سقطت المدينة العظيمة في قبضة الملكين الكاثوليكيين فرناندو وإيزابلا في عام ١٨٩٧هـ – ١٤٩٢م وكانت في خلال تلك المدة قاعدة آخر حكومة إسلامية في إسبانيا. فإذا كانت قرطبة قد نالت قصب السبق كعاصمة للأمويين بالأندلس لمدة تزيد على القرنين ونصف القرن، وتبعتها أشبيلية لفترة أخرى تجاوزت المائة والستين عاما كحاضرة للبلاد زمن كل من المرابطين والموحدين فإن مدينة غرناطة استمرت من بعدها عاصمة لمملكة بني نصر لفترة تتعدى المائتين والستين سنة (٢).

أصبحت غرناطة من سنة ١٢٣٨ مع قل الإسلام في شبه الجزيرة فخف الناس إليها ألوفًا من المدن التي استولى عليها المسيحيون أو التي كانت مهددة بالسقوط. وفي أعوام قليلة عمر الناس كل تلك البياسين وانتشروا على السفح

⁽١) د. حسين مؤنس: غرناطة، مجلة العربي.

⁽٢) د. محمد توفيق بلبع: المرجع السابق ذكره، ص ٧٥.

الشرقى لهذا التل الذى كان يعرف بمدرج السبيكة وفى خلال خمسين سنة تضاعفت أربع مرات.

فماذا فعل بنو نصر في غرناطة؟ لنبدأ بأن نتعرف أولاً على مؤسس مملكة غرناطة.. فهو محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر. كان قوى الشخصية عالى الهمة، له مقدرة فائقة على مجابهة الأحداث والإفادة من الأخطار. دخل أسلافه الأندلس مع جيوش الفتح العربي واستقر مقامهم عند حصن أرجونة إلى الشمال من غرناطة ثم أخذت أسرة ابن نصر منذ ذلك الحين تتكاثر وتزداد وتقوى حتى آلت زعامتها إلى محمد هذا الذي عرف بالشيخ.

حينما تدهور نفوذ الموحدين في الأندلس في بداية القرن الثالث عشر الميلادي ولا سيما بعد اقتصار ألفونسو الثامن ملك قشتالة وحلفائه من ملوك إسبانيا المسحيين على محمد الناصر الخليفة الموحدي في معركة العقاب سنة ٩٠٦هـ - يوليو ١٢١٢م (١) وجد عدد كبير من زعماء الأندلس فرصة لشق عصا الطاعة على الموحدين، فثاروا في مناطق شتى بالبلاد وحاولوا السيطرة على ما تحت أيديهم من أملاك الموحدين والاستقلال بها، وكان من بين هؤلاء محمد بن يوسف بن نصر، فنصبه أهل أرجونة مسقط رأسه في سنة ١٢٣٢م واليًا عليهم، ثم دخلت في حوزته في السنة التالية مدينة جيان. ولما قتل أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود في سنة ١٢٣٨م الذي ثار بدوره على عبد الله محمد بن يوسف بن هود في سنة ١٢٣٨م الذي ثار بدوره على الموحدين في مدينة مرسية واتخذها عاصمة لملكته في شرق الأندلس. خشي أهل غرناطة بعد مقتل أميرهم ابن هود على مدينتهم من الجيوش النصرانية

[.] A. Huici Miranda: Las Grandes Batallas de la reconquista (1)

التى كانت تضغط بقوة على أملاك المسلمين للاستيلاء عليها، فاتصلوا بابن الأحمر أثناء وجوده فى جيان وبعثوا إليه بيعتهم والدخول فى طاعته: فاستجاب لرغبتهم وانتقل إلى غرناطة واتخذها منذ ذلك الحين مقامًا له وحاضرة لمملكته الجديدة (١).

وما وافت سنة ١٢٣٩م حتى استقر رأى محمد بن نصر على إنشاء حصن يحتمى به. وبعد أن استكشف بنفسه المنطقة المحيطة بالمدينة، استقر فى نهاية الأمر فى منطقة السبيكة فى الجانب الشمالى الشرقى من مدينة غرناطة حيث كانت توجد أطلال إحدى القلاع القديمة. ووضع ابن الأحمر فى هذا الموضع المرتفع أساس حصنه الجديد «قصبة الحمراء» ثم أمر بإقامة البناء والعمل على إتمامه بسرعة، وفى الوقت نفسه عمل على تدبير الماء اللازم لقصره، فأمر بعمل سد على نهر حدرة (Darro) لتؤخذ منه المياه وترتفع إلى الحصن بوساطة سواقى.

كان الحاكم الجديد يوسع رقعة مملكته على حساب المدن والإمارات المجاورة. فضم مدينتي مالقة والمرية وأحوازهما وشملت بعد ذلك مدينة لورقة شرقًا. وواصل محمد بن يوسف طوال فترة حكمه التي امتدت إلى ما يقرب من ست وثلاثين سنة بعد دخول غرناطة (١٢٣٨ - ١٢٧٣م)، يقاتل لتحقيق أهدافه في تأسيس دولة قوية عظيمة، مما أرغمه على خوض معارك كثيرة وخاصة ضد بني مرين أصحاب المغرب للاستيلاء على أملاكهم في المناطق الجنوبية من إسبانيا فانتصر عليهم في معارك كثيرة وبذلك دعم مملكته وذاعت شهرته فيما جاوره من الأقاليم حتى وافاها الأجل في عام ١٢٧٣م،

⁽١) د. محمد توفيق بلبع: المرجع السابق ذكره، ص ٧٧.

فخلفه ابنه محمد الثانى الفيه (١٢٧٣ - ٢٠٣١م)، فاستكمل بناء القصبة (القلعة)، وأتم جانبًا كبيرًا من أسوار الحمراء.

تولى أمر الملمكة من بعده ابنه أبي عبد الله محمد الثالث (١٣٠٨ - ١٣٠٨م) وكان من أعظم أهل بيته صيتًا وهمة: بيد أنه كان ظالمًا وقاسيًا فتآمر عليه أهل غرناطة وأقصوه عن الحكم ونصبوا شقيقه أبي الجيوش نصر فدبرت له مؤامرة أودت بحياته حيث مات غريقًا عام ١٣١٠م بعد سنتين من خلعه. ويرجع الفضل إليه في بناء المسجد الجامع بالحمراء وتزيينه وتجميله، وقد ظل هذا المسجد قائمًا حتى النصف الثاني من القرن السادس عشر حينما أزيل في زمن الإمبراطور فيليب الثاني ابن شارلمان، وبني مكانه كنيسة سانت ماريا الحالية، كما شيد الأمير محمد الثالث حمامًا بإزاء المسجد وجعله وقفًا عليه، وقد تهدم هذا الحمام وظلت أطلاله في مكانه أثرًا باقيًا تشهد على وجوده (١٥).

تعاقب على حكم غرناطة بعد هؤلاء الثلاثة الأول ثمانية عشر سلطانًا (راجع الملحق) ساهم معظمهم في إضافة وتجميل مباني الحمراء وبساتينها وخمائلها وقاعاتها، فأبدعوا في زخرفها وزينتها، حتى أصبحت صورة صادقة لألوان الجمال وعنوانًا للنعم الموفورة التي عاش فيها ملوك غرناطة.

أهم ما نسجله عن امتداد المدينة ما ذكره العلامة حسين مؤنس في بحثه الممتع الذي ننقل منه:

كان السور الذى بنوه (بنو نصر) يحيط بتلى البياسين والحمراء ويسير مع السور الخارجي القديم نحو الجنوب ثم ينحرف شرقًا ويسير محاذيًا المجرى

⁽١) د. محمد توفيق بلبع: المرجع السابق ذكره، ص ٨٠.

القديم لنهر حدارة ماراً بميدان الباب الملكى وينتهى عند مجرى نهر شنيل فى الشرق. كان هذا السور الضخم مدعمًا بأبراج صغيرة تعرف بالبرانيات، ولا تزال بعض بقاياه قائمة. وكان الشارع الرئيسى للبلد هو نفس الشارع الرئيسى الحالى المسمى باسم الملكين الكاثوليين، وكانت الأسواق تقع إلى غرب الشارع: فيما يعرف اليوم بالقيسارية وحول المسجد الجامع الذى كان يقوم مكان الكاتدرائية اليوم، وكانت الأسواق تمتد إلى مبانى الجامعة الحالية. هنا أيضاً كانت الأحياء الشعبية وكانت تمتد حتى تل البياسين وتشمله.

والجانب الشرقى من غرناطة اشتمل على أحياء الأمراء والأغنياء وكانوا يسكنون دوراً فسيحة تحيط بها الحدائق والبساتين. وقد تحدث كثيراً لسان الدين ابن الخطيب وهو الطبيب والفيلسوف والكاتب والشاعر - في كتابه «الإحاطة» عن العظمة والتقدم اللذين بلغتهما غرناطة فأعطانا صورة لعصره انطبعت مظاهرها على حياة الناس وطرق معيشتهم في جميع النواحي السياسية والحربية والدينية والثقافية والاجتماعية، وكان الرخاء والثراء والترف محور هذه الحياة التي بلغت من البذخ حداً بعيداً.

نهاية غرناطة الإسلامية:

وبالرغم من كل هذه النعمة والعنى والقوة، فإن غرناطة لم تستمر طويلاً بنعم الحياة الهادئة لأن حرب الاسترداد الإسبانية التي تزعمتها مملكتا قشتالة وأراجون أخذت تشتد على أطراف مملكة غرناطة، مما أجبر جميع مسلمي الأندلس إلى مغادرة مدنهم واللجوء إلى أحواز العاصمة وفي نفس لاوقت تنازع على النفوذ والسلطان أفراد البيت المالك، مما دفع بعضهم إلى طلب العون والمساندة من الممالك المسيحية لتحقيق أطماعهم الشخصية. لذلك

اضطربت أحوال البلاد وانحسرت حدود المملكة الواسعة في آخر الأمر داخل أسوار عاصمتها، فضربت جيوش الملكيين المسيحيين عليها حصاراً محكماً في جمادي الآخرة سنة ٨٩٦هـ – أبريل سنة ١٤٩١م، وكلما اشتد الحصار زادت نار الفتنة اشتعالاً: ووجد اليأس طريقه إلى قلوب الغرناطيين نتيجة للجوع والغلاء. وفي النهاية تآمر السلطان أبو عبد الله محمد بن على بنفسه على تسليم المدينة وقلعتها الحصينة، في مقابل شروط معينة أهمها: تأمين السكان وأموالهم ومتاعهم – إطلاق جميع الأسرى من أهل غرناطة المسلمين – ترك الحرية للمسلمين لمزاولة شعائرهم الدينية في المساجد – عدم التعرض لهم إذا رغبوا في العبور إلى المغرب – إلى غير ذلك من الشروط.

أرسلت هذه الشروط إلى ملك قستالة فوافق عليها وطلب تقديم خمسمائة من كبار رجال المسلمين كرهائن، فأجيب إلى طلبه. فتقدمت قوة مسيحية إلى قصر الحمراء وتسللت إلى داخله دون مقاومة. فتلقى السلطان أبو عبد الله محمد (الحادى عشر) قائدها في برج قماش وسلمه مفتاح القلعة فقط دون مفتاح المدينة، فعاد القائد إلى معسكر سيده الذي كان يبعد قرابة اثنى عشر كيلو متراً عن أسوار غرناطة وصحبه والملكة إيزابيلا إلى الحمراء فدخلها فرناندوا وإيزابيلا مع جيوشهما في ٢ ربيع الأول سنة ١٩٩٨هـ - ٢ يناير ١٤٩٢م، فأقيمت مراسم احتفال تسليم المدينة ورفع العلم المسيحى والصليب بعد أن أنزل العلم الغرناطي فوق برج الحراسة الذي يتوسط مبنى الفصبة القديمة باعتباره أكبر وأعلى أبراج الحمراء (١).

⁽١) د. محمد توفيق بلبع: المرجع السابق ذكره، ص ٨٠.

هكذا انتهى آخر مظهر من مظاهر السيادة الإسلامية بالأندلس بعد أن ظلت ما يقرب من ثمانية قرون خاضعة للمسلمين الذين سطروا خلالها سجلاً حافلاً بالمجد والرفعة في جميع ألوان الحياة، مما يعد فخاراً للإسبانيين.

لقد أحب عرب الأندلس مدينة غرناطة وتفاخروا كثيرًا بها، ويذكر المقرى في تاريخه «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» - أن أحدهم قابل شنيل «مهر المدينة»، بألف نيل، فيقال:

وما لمصر تفخر بنيلها

وألف منه في شنيله___ا

وتجدر الإشارة هنا أن حرف «ش» بالذات يدل على العدد ١٠٠٠ في لهجة عرب المغرب!.

وبعد سبع سنوات نقض الملكان شروط التسليم، وأجبروا المسلمين الذين ظلوا في مدينتهم على اعتناق النصرانية مما دفع أهل البيازين للثورة على حكامهم، ولكنهم أخذوا بقسوة شأنهم في ذلك شأن جميع المسلمين، مما اضطرهم إلى الفرار للمغرب حيث نزلوا فاس وغيرها من المدن حتى خلت الأندلس من المسلمين! وفي الوقت نفسه ارتد المستعربون عن الإسلام وعادوا إلى المسيحية وعندما غادر غرناطة أبو عبد الله من باب القدور إلى منفاه، وأفل مجد أسرة بني نصر أغلق الباب بأمر من الملك الإسباني الكاثوليكي وملكته، بعد أن أمرا أن يبقى الباب مغلقًا دائمًا.

ومع ذلك فإن أثر حضارة العرب والإسلام ما زالت باقية في جميع أنحاء إسبانيا تشهد بفضل هذا الدين السمح وحضارته الخالدة على بقعة فسيحة في غرب أوروبا.



غرناطة وآثارها الطائلة:

(١) المدخل الحالى لقصر الحمراء. (٢) الساحة الأولى.

(٣) أنقاض المسجد. (٤) دهليز.

(٥) ساحة المعشوقة.(٦) برج المعشوقة.

(V) المنشور. (A) ساحة قاعة الذهب.

(٩) قاعة الذهب. (١٠) ساحة قمارش أو الريحان.

(١١) قاعة البركة. (١٢) قاعة قمارش.

(١٣) الحمام الملكى. (١٤) ساحة الملكة.

(١٥) قاعات شارل الخامس. (١٦) برج الشرفات.

(۱۷) حديقة. (۱۸) منظرة.

(١٩) قاعة السيدات. (٢٠) ساحة الأسود.

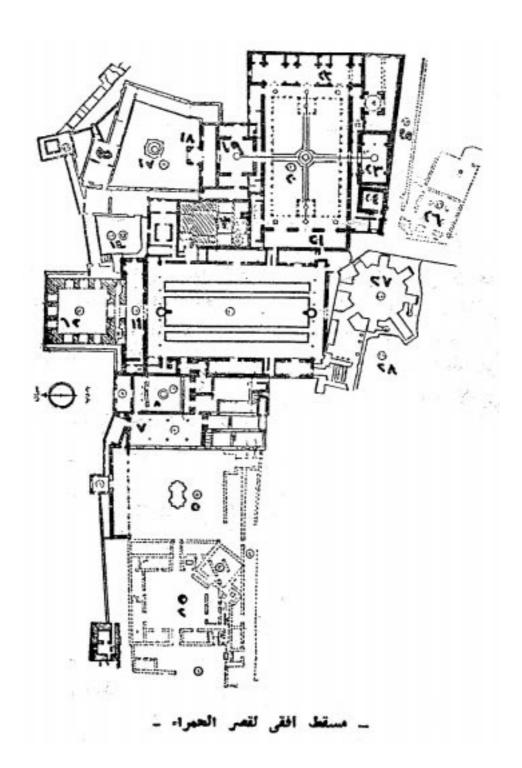
(٢١) قاعة المقربصات. (٢٢) قاعة الملوك.

(۲۳) قاعة بني سراج. (۲۲) الجب.

(٢٥) الخندق. (٢٦) الروضة.

(۲۷) الكنيسة الجديدة وقصر شارل الخامس.

(۲۸) قصر شارل الخامس.



الحمراء قبل القرن السابع الهجرى - ١٣م

ذكر هذا الحصن عدة مرات في أثناء الصراع بين الأمراء الإسبانيين والمرابطين والموحدين. وقد كانت مساحته صغيرة، والدليل على ذلك أن فرق ابن حمشق اضطرت لأن تعسكر خارج أسواره. وتدل بعض مخلفات جدرانه وأبراجه المجاورة لمبنى الحمراء «الحديث» على ضعف بنيانه وبساطة مواده التي شيد بها.

ولما دخل محمد بن الأحمر غرناطة في رمضان ١٣٥هـ = مايو ١٢٣٨م أقام في قصبة بني زيرى التي كانت في مدينة غرناطة نفسها. لكنه لم يدخر وسعًا في إنشاء قصر الحمراء في أسرع وقت مستطاع. وقد بدئ بالعمل فيه بعد أشهر قلائل من دخول غرناطة. وكان المبنى الجديد يختلف اختلافًا بينًا عن الحصن القديم، في أغراضه وسعته وفخامته. فالحمراء أكثر من حصن وقصر معًا. إنه مدينة ملوكية كاملة، وقاعدة الحكومة النصرية، كما كانت مدينة الزهراء، والمدينة الزاهرة وقصبة الموحدين في مراكش.

وكان في مقابل الحي التجاري للمدينة: قصبة أخرى، عدل بناؤها وأضيفت إليه مبان أخرى لتسع حاجة النصريين بعد تأسيس ملكهم الجديد. ولقد احتوت بالإضافة إلى القصور الملكية، على المصالح الحكومية الإدارية ودار الضرب وثكنات الحرس وكبار الموظفين وكل ما يحتاج إليه الخدم والأتباع، وما يحتاج إليه أهل المدينة من المصانع والحوانيت والمسجد الكبير والحمامات.

وكان المنظر الطبيعى الذى يضم القصبة والقصر والمدينة كامل الروعة تطل جميعًا على نهر حدارة (دارو) عند التقائه مع نهر شنيل، وتل السبيكة أو الدور الصغيرة التى تفيد القصور. أما مشيد الأسوار الخارجية، فهو محمد الأول ومحمد الثانى. وفى القرن ٨هـ/ ١٤م فى أثناء حكم يوسف الأول (٧٣٣ – ١٣٥٤) شيدت أبراج قيمارش، وبرج المطرقة والقنديل، والأبواب الكبرى الثلاثة: باب الشريعة، باب الطباق الثلاثة، وباب السلاح. أما برج المتزين (Peinador) فقد أتمه السلطان محمد الخامس.

وعلى ذلك يمكن القول بأن الأسوار المحيطة بأعلى الهضبة أخذت شكلها النهائى في منتصف القرن ٨هـ - ١٤م وقد قنع السلاطين الذين تولوا الحكم بعد ذلك ببناء قواعد المدافع ضد تهديدات ملوك النصارى خلال القرن الخامس عشر، وقد شيدت تلك المصاطب (القواعد) عند أسفل البوابات الثلاث الكبرى.

وثلاثة من أبواب الحمراء وهي: الشريعة، والطباق الثلاثة، والقمم المسننة، تؤدى إلى الخارج (تفتح على الخارج). أما باب السلاح، فهو وحده الذي يصل الحمراء بالمدينة.

ولأبواب الحمراء نسب معيارية ضخمة من كتل المبانى الحجرية وتتضمن الدهاليز المقباة ذوات الانثناءات والتعرجات الكثيرة وأحيانًا تتقاطع وهى تعتبر من أرقى نماذج الأبواب فى العمارة العسكرية. ولباب الشريعة وهو خال من الأبراج عقد جميل ودعامات عالية.

أما الأبواب الأخرى فلا تختلف كثيراً عن معظم الأبواب الكبرى التى شيدها الموحدون أو المرينيون في مراكش، ولا سيما عندما يكون لها برجان. وللأسوار الخارجية العالية ممشى للحرس له دورة تعلوها الشرفات. ولا يخفى أن توزيع الأبراج في الأسوار غير متساو، فهي مقامة عند مسافات مختلفة: وتتوسط المسافة بين البرج والآخر قرابة خمسين متراً.

قلنا أن لبعض الأبراج طباقًا عالية وهذه تشتمل على قاعات كبيرة، من أهمها قاعة العرش أو قاعة السفراء التى تشغل الطابق العلوى فى برج مربع وكبير. ولهذه القاعة ومثيلاتها نوافذ كبيرة تطل على غرناطة وعلى البرج.

وعند هذا النشز الرائع تنتهى جبال سييرانفادا. ولقد تغنى شعراء غرناطة بجمال هذا الموقع الخلاب الذى يجمع الجمال والوديان والسهول والأنهار والغابات، تتوسطها الهضبة التى ارتفعت عليها مبانى الحمراء. تلك الهضبة التى امتدت طولاً قرابة ٤٧٠ متراً، وعرضاً حوالى ٢٢٠ متراً.

بدأ العمل في تشييد قنطرة كبيرة لنقل المياه من الجبال المجورة إلى الهضبة، وكانت المياه متوافرة في كل مكان بالمدينة وفي قصور النصريين. الماء. الماء الذي خلق الله منه كل شيء حي. والمعروف أن جميع مباني الحمراء لم ينته العمل منها في أيام محمد بن الأحمر بل انتهت في أيام ابنه الأمير محمد الثاني (٢٧١ - ٢٠٧١) ومنذ ذلك الحين لم يغير ملوك النصريين قاعدتهم الفخمة حتى غادروا نهائيًا عام ١٤٩٢م.

والحمراء قبل أى شيء حصن منيع. إن هذا الحصن ذا الأسوار والأبراج المنيعة الذي يحيط بالحمراء من أقوى وأروع ما عرف في فن العمارة الحربي، إنه وحده يستحق العناية والدراسة. والفناء الكبير الذي تضمه الساحة في الداخل والذي ينحدر على كلا الجانبين من الهضبة، كان مقسمًا إلى ثلاثة أجزاء: فإلى الغرب يقع مجمع من التحصينات المترابطة المتماسكة: أعنى القصبة وفي أعلى جزء كانت تقع مباني قصور الحمراء، وعلى السفوح المنحدرة للهضبة والتي تمتد في ناحية الشرق كانت تقع مدينة غرناطة.

حصن الحمراء وأسواره:

فى طرف التل، المواجه Vega تقع القصبة حصن منيعًا، مستقلة تمامًا عن بقية الحمراء. اشتملت على مساحة كبيرة كأرض لتدريب الجند للعرض، أقيمت فيها بعض الدور الصغرى بعد ذلك، ويحيط بهذه المساحة سور منيع

مثلث الشكل، ويشتمل على ستائر من الجدران المرتفعة، تكتنفها الأبراج وتدعمها ثلاثة أبراج شامخة ومقباة وإلى الشرق سور خارجي آخر. ولهذه القصبة بوابتها الكبرى المؤدية إلى الخارج.

أما الأسوار التي تحيط بقصور الحمراء كلها والتي تكملها القصبة طبعًا في ناحية الغرب فهي منيعة ومشيدة بالحجارة القوية وتتألف من جدار واحد فقط. وهذه الأسوار عالية: تكتنفها الأبراج الكبرى وعددها ثلاثة وعشرون. أبراج كبيرة، الطابق العلوى لمعظمها يحتوى على الردهات وسنجمع في الثبت الآتي أبراج الحمراء:

أبراج الحصن (القصبة) المحيطة بالحمراء:

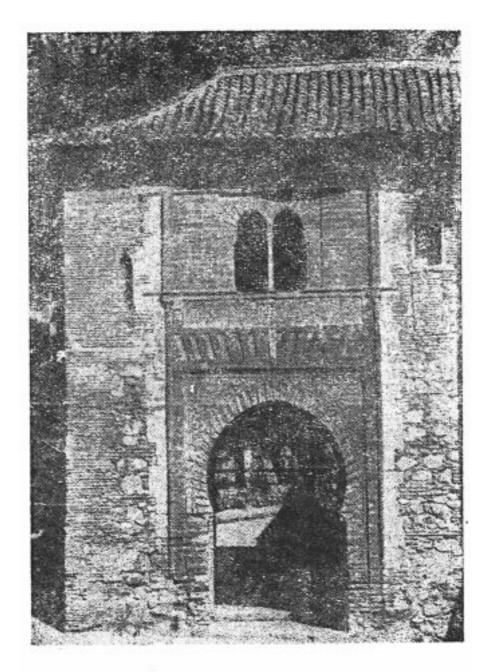
نذكر فيما يلى أهم أبراج القصبة وأبوابها، ويلاحظ أن أسماءها ليست من وضع الأندلسيين، ولكن أطلق الإسبان هذه الأسماء عليها.

- ۱ برج الحراسة (تورى دى لافيلا).
 - ٢ باب السلاح.
 - ۳ برج التكريم (تورى أوميناخ).
 - ٤ البرج المهدوم (تورى كيبرادا).
- ٥ برج الدراق (تورى دى أدارجيرو).
 - ٦ باب الشريعة
 - ٧ باب النبيذ.
 - ٨ برج المطرقة.

- ٩ بهو قمارش.
- ۱۰ برج قمارش.
- ۱۱ برج متزين الملكة (بينا دور دى لارينا).
- ۱۲ برج النساء (توری دی لاس داماس).
 - ١٣ برج البرطل.
- ١٤ برج القمم المسننة (تورى دى لاس بيكوس).
 - ١٥ باب الحديد.
 - ١٦ برج القنديل.
 - ١٧ برج الأسيرة (برج أبي الحجاج).
 - ۱۸ برج الأميرات (تورى دى لاس انفانتاس).
 - ١٩ برج الماء.
- ۲۰ برج الطباق السبع (تورى دى سييتي سويلوس) أو برج الغندور.
 - ۲۱ برج الطليعة (تورى دى لا أتاليا).
 - ۲۲ برج الرءوس (توری دی لاس کابیثاس).

نقوش برج الأسيرة:

احتفظ هذا البرج من خارجه بمظهره الأصلى وله باب فخم نقش على عتبته هذه الكتابة:



الواجهة الغربية لباب الشيث

«.. الباسل أبى عبد الله الغنى بالله، ابن مولانا أمير المسلمين السلطان الجليل، الملك الأصيل، ذو المحامد والمناقب، والعطايا الجنيلة والمواهب، الحامى الديار، القامع أعداء الله الكفار، أبى الحجاج ابن مولانا السلطان المعظم». وفي إحدى غرف البرج، نقرأ الآية الكريمة: «إنا فتحنا لك فتحاميننا..».

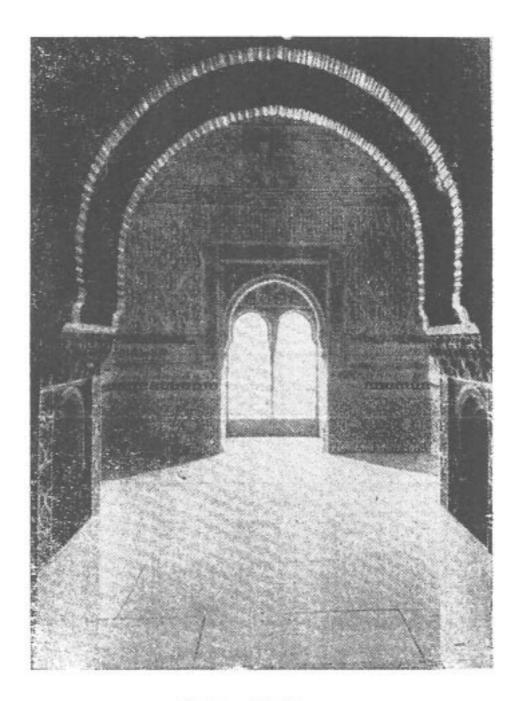
وفى البرج الذى يليه من ناحية الشرق، وهو برج الأميرات نقوش بالدعاء للسلطان أبى عبد الله المستغنى بالله وهو على الأغلب السلطان محمد الغنى بالله.

والمعروف أن تلك المجموعة الرائعة من التحصينات التى شيدها السلاطين النصريون لم تهاجم، فقد كانت الغزوات النصرانية ضد غرناطة تقف أمام أسوار المدينة الخارجية دون أن تتعرض للهجمات العنيفة أو للحصار القوى. حتى نصل إلى الحصار الأخير الذى أدى إلى سقوط غرناطة في القوى. حتى نصل إلى الحصار الأخير الذى أدى إلى سقوط غرناطة في المحار وتسليمها إلى الملكين الكاثوليكيين في ٢ يناير ١٤٩٢م. وفي أعقاب لتسليم، دخل فرديناند وإيزابيلا إلى الحمراء في ٦ يناير. ويمكن القول بأن حصون الحمراء وقصورها سلما من التخريب والتدمير إلى حد كبير.

باب الشريعة:

باب الشريعة هو المدخل الرئيسي لقصر الحمراء اليوم. نقش على قوسه سطران، كتب فيهما بخط أندلسي متشابك، العبارات الآتية:

«أمر ببناء هذا الباب المسمى باب الشريعة، أسعد الله به شريعة الإسلام كما جعله فخراً باقياً على الأيام، مولانا أمير المسلمين السلطان المجاهد العادل أبو الحجاج يوسف ابن مولانا السلطان المجاهد المقدس أبى الوليد ابن نصر



برج الأسيرة من الداخل

كافى الله فى الإسلام صنائعه الزاكية وتقبل أعماله الجهادية، في تيسر ذلك فى شهر المولد المعظم من عام تسعة وأربعين وسبعمائة، جعله الله عزة وافية وكتبه فى الأعمال الصالحة الباقية..».

يقابل هذا التاريخ ٧٤٩هـ سنة ١٣٤٨م، والسلطان يوسف أبو الحجاج هو أعظم سلاطين مملكة غرناطة، (حكم من ١٣٣٣ - ١٣٥٤) وقد شيد أفخم أجنحة الحمراء وأجملها.

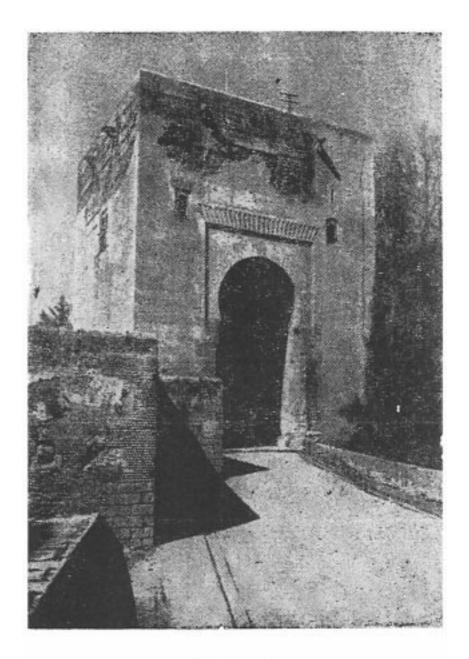
ووراء باب الشريعة مجاز معقود، به في الناحية اليمني محراب، وفي نهايت مصلى وقد صنعت به لوحة رخامية أشير فيها إلى حصار غرناطة، وتسليمها للملكين الكاثوليكيين، فرديناند وإيزابيلا في ٢ يناير ١٤٩٢م.

ثم نصل إلى باب الخمر وهو اسم مستحدث:

ويتوج هذا الباب نص تاريخي يتضمن اسم السلطان الغني بالله ابن السلطان أبي الحجاج الذي شيد باب الشريعة.

وعند خروجنا من باب الخمر، نجد أنفسنا في ميدان الجب، وعلى يميننا قصر شارل الخامس الذي هدم من أجل إقامته جانب من قصور الحمراء. وعلى اليسار نشاهد قصبة الحمراء.

قلنا إن معظم مبانى الحمراء القائمة اليوم، يرجع الفضل فى إنشائها إلى السلطان أبى الحجاج يوسف بن أبى الوليد إسماعيل سابع سلاطين بنى نصر. وهو الذى شيد أيضًا باب الشريعة (المؤدى إلى الشارع) ومنه نعبر إلى ساحة الحب (صهريج المياه) وباب الشريعة بوابة يتمثل فيها الأسلوب المعمارى العربى يرتفع قرابة خمس عشر متراً يؤدى إلى وسط مبانى الحمراء، إلى



باب الشريعة

الميدان الواقع بين القسم الحربي من مبانيها أي الأبراج، والقسم المدنى وهي الدور والحدائق ودواوين الدولة.

وللأستاذ الدكتور حسين مؤنس رأى فى تسمية باب الشريعة فهو يرى أن المقصود بالشريعة هنا ليست الشريعة الإسلامية، بل المقصود الشارع (الطريق).

يدخل الزائرون - اليوم - إلى قصور الحمراء عن طريق ممر يشبه المنزل يؤدى إلى دهليز قصير، ومعه تصل إلى قاعة المشور.

وهذا الجزء الذى ندخله، لم يكن أهل غرناطة يدخلون منه لأن القاعة التى تعرف الآن بالمشور كانت وسط سلسلة من القاعات والأبهاء، تهدمت كلها. وكان أهل غرناطة يدخلون من باب آخر في نهاية ميدان الجب.

قصور الحمراء:

إن قصور الحمراء التي يحظى العالم بمشاهدتها ليست هي التي شيدت في القرن ٧ هـ - ١٣م، تلك خربت في القرن الثامن، لتقوم في مكانها هذه القصور المستحدثة التي بقيت إلى اليوم. وهناك مجموعة من مباني الحمراء، كانت تقع في الغرب ودمرت منذ زمن وقد كشفت التنقيبات منذ سنوات عن أسسها، ويبدو منها فناء مربع، تطل عليه عدة قاعات صغيرة، وإلى جانبها مسجد (مصلي) صغير. وهذا المسكن الساذج نسبيًا كان يتبعه ساحة كبيرة عرفت بساحة المطرقة، يحده شمالاً سقيفة تؤدي إلى ردهة كبيرة تقع في أحد الأبراج المتصلة بالسور المحيط بالحمراء.

تلك هي مجموعة المباني التي اندثرت. أما القصور الحالية فتتألف من

مجوع تين أخريين، شيد كل مجموعة حول مساحتين على محاور عمودية كبرى. فالمجموعة الأولى وهى دور قمارش يسبقها بهو المشور، وساحة صغيرة، وقد شيد البناء السلطان يوسف الأول (٧٣٣ – ٥٥/ ١٣٣٣ – ٥٥). أما المجموعة الثانية فهى قصر السباع وقد شيده محمد الخامس (٥٥٧ – ٩) (٩٢/١٣٦٨) و(٧٦٩ – ٩٤هـ) / (٩٢/١٣٦٨). وهـناك بعض الحمامات القديمة ومسجد يصل بين المجموعتين المذكرتين اللتين شيدتا فى القرن الرابع عشر.

المشور:

تم إنشاء المشور سنة ١٣٦٥، كما تشهد أبيات للوزير ابن زمرك شاعر الحمراء^(۱) وهو المكان الذى خصص فى القصر للموظفين الذين يعاونون السلطان فى إدارة شئون دولته. لقد تغيرت سماته الرئيسية ولم يبق منها سوى بعض زخارفه الجصية وفسيفسائه الرخامية وفى شعار بنى الأحمر وبعض ما تبقى من النقوش العربية وأهم ما تبقى من المشور، قاعته الكبرى وفيها نقش بالله، تضمنته أبيات الشعر التالية:

يا منصب الملك الرفييع

ومحرز الشكل البديع

فتحت للفتح المبين

وحــــن صنع أو صنيع

⁽۱) نظم ابن زمرك قصيدة رائعة تتناول الحمراء، تـعتبر من أجمل ما نظم الشعراء في وصف المباني، جاء نصها في كتاب «أزهار الرياض» للمقرى جـ٢ ص ٦٥ وما بعدها.

أثر الإمام محمد

ظل الإله على الجسمسيع

وتوجد خلف هذه القاعة «مصلى» تحتفظ إلى اليوم بمحرابها الجميل، وتتوجه عبارة منقوشة بخط كوفى: «أقبل على صلاتك ولا تكن من الغافلين».

وفى المشور «القاعة المذهبة» نسبة إلى الزخارف المذهبة التى ازدانت بها. وهناك ساحة إلى جنوبها تقع سقيفة تحتها بابان: الأيسر منهما يؤدى إلى قاعة صغيرة تقود الزائر إلى بهو الريحان، والباب الأيمن يؤدى إلى المدخل الأصلى للقصر وقد سدت معالمه اليوم، وفوق الباب ذى الدفتين طراز من الخشب نقشت عليه تلك الأبيات:

منصبی تاج وبابی مفرق

يحسب المغرب في المسرق

والنعنى بالله أوصىانى أن

أشرع الفتح لفتح يطرق(١)

فاأنا منتظر طلعاته

مثل ما يبدى الصباح الأفق

أحـــسن الله له الصنع كــــمــــا

حــــن الخلق له والخلق

⁽١) قرأ أحدهم الكلمتين الأخيرتين بالسيف المعلق.

وأبيات ابن زمرك التى وصف فيها قاعة المشور، تعتبر الوصف الوحيد الباقى بين أيدينا لهذه القاعة، كما كانت عندما فرغت من إنشائها يد الفنان:

به البهو قد حاز البهاء وقد غدا

به القصر آفاق السماء مباهيا

وكم حلة قد جللته بحليها

من الوشى تنسى السابرى اليمانيا

وكم من قسى (١) في ذراه ترفعت

على عمد بالنور باتت حواليا

فتحسبها الأفلاك دارت قسيها

تظل عمود الصبح إذ لاح باديا

سواری قد جاءت بکل غریبة

فطارت به الأمشال تجرى سواريا

به المرمر قد شف نوره

فيجلو من الظلماء ما كان داجيا

إذا ما أضاءت بالشعاع تخالها

على عظم الأجرام منها لآليا

⁽١) هي أقواس صغيرة قامت عليها قبة سقف المشور وقد زالت تلك القبة الآن.

ساحة الريحان(١):

إنها أعـجب ما في الحمراء جـميعًا، تتـوسطه بركة مستطيلة وأحواض تحف بجوانبها أشجار الريحان، بناها مـحمد الخامس ونقشت في زوايا ساحة الريحان العـبارة الآتية: «النصـر والتمكين، والفتح المبين لمولانا أبي عـبد الله أمير المؤمنين». والآية: «وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم».

ونقشت على اافريز الرخامي الأوسط للساحة قصيدة من اثني عشر بيتًا ركيكة، بها أغلاط كثيرة لأنها من صنع محدث، نقلت تحت إشراف الأثريين الإسبان فتسربت إليها عند النقل أغلاط كثيرة. وفيما يلى مطلع القصيدة:

تبارك من ولاك أمر عباده

فأولى بك الإسلام فضلا وأنعما

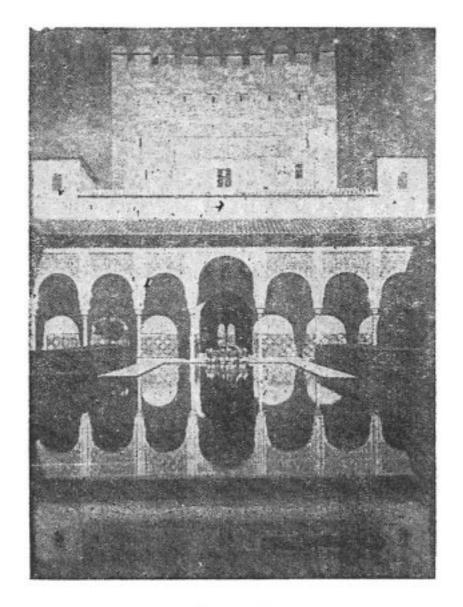
فكم بلدة للكفر صبحت أهلها

وأمسيت في أعمارها متحكما (٢) ومنها عن يمين الباب الشمالي المؤدى إلى البهو المجاور:

وطوقتهم طوق الاسار فأصبحوا ببابك يبنون القصور تخدما وفتحت بالسيف الجزيرة عنوة ففتحت بابا كان للنصر مبهما ومن قبلها استفتحت عشرين معقلا وصيرت ما فيها لجيشك مغنما

[.] Patio de Alberca - Patio de los Arrayanes (1)

⁽٢) يلى هذا البيت، الأبيات الآتية:



ساحة الريحان

ولو خير الإسلام فيما يريده

لما اختار إلا أن تعيش وتسلما

وتلك آثارها في كل مكرمية

أبدى وأوضح بدرا إذا انتظما

وعن يسار الباب:

فيا ابن العلى والحلم والبأس والندى

ومن فاق آفاق النجوم إذا أنتما

طلعت بأفق المليك رحمه

ليجلو ما قد كان بالظلم أظلما

فأمنت حتى الغصن من نفحة الصبا

وأرهبت حتى النجو في كبد السما

فإن رعشت زهر النجوم مخيفة

وإن سال غصن البان شكرك يما

وقد نقشت فوق الأبيات وتحتهاا عبارة: «لا غالب إلا الله» باستمرار.

ويفضى باب ساحة الريحان الشمالي إلى بهو صغير يسمى بهو البركة، به قبلة زينت بنقوش جميلة، وقد نقش على جانبها الأيمن:

أنا مـــجـلاة عـــروس

ذات حــــن وكـــمــال

فالطر الإبريق تعرف

فـضل صـديقـي في مـقـال

شبها تاج الهللال

وابن نصر شمس فلك

في ضياء وجمال

دام فی رفیعیة شیان

آمنا وقت النزوال

وعلى جانب القبلة الأيسر:

وأنا فيخر لصلاة

__مت س_مت السعادة

تحسب الإبريق فيها

قايما يقضي عبادة

كلما تفرغ منها

وجفت فيها الإعادة

وبمولای ابن نصرو

ش____رف الله ع____اده

قد نماه سید الخیز

رج سعد ابن عباده

ويفضى بهو البركة من الناحية الشمالية، إلى أعظم أبهاء الحمراء وهو: بهو السفراء أو بهو قمارش^(۱):

أروع ما في هذا البهو زخارف قمته التي احتفظت بنقوشها الأصلية، أما نقوش الجدران، فمع جمالها ليست إلا تجديدًا مقلدًا لنقوشها القديمة، وقد نقشت في عقد باب بهو السفراء العبارات الآتية: «الحمد لله على نعمة الإسلام، وعز لمولانا أبو الحجاج عز نصره».

ونقشت الأبيات الآتية في جانب العقد الأيمن بعد عبارة «الحمد لله»:

فقلت الحسان بحليتي وبتاج

وهو إلى الشهب في الأبراج

يبدو إناء الملك فحى كعابد

في قــبلة المحراب قـام يناج

ضمنت على مر الزمان مكارمي

ذى الاوام وحاجة المحتاج

فكأننى استقربت آثار الندى

من كف مـولانا أبي الحـجـاج

لا زال بدرًا في سمائي لايحا

ما لاح بدر في الظلام الداج

⁽۱) يسمى أيضًا قاعة السفراء، وقمارش جمع إسباني للفظ قمرية، وهي المنور الصغير المزين بالزجاج الملون.

ونقشت الأبيات الآتية على جانب العقد الأيسر بعد عبارة «الحمد لله»: وقـمت أتـأمل صـانعي ديـبـاجي

من بعد ما نظمت جواهر تاج

وحكيت كرسي العروس وزدته

إنى ضمنت سعادة الأواج

من جاءني يشكو الظماء فموردي

صرف الزلال العذب دون مزاج

فكأننى قوس الغهاء إذا بدا

والشمس مولانا أبو الحجاج

لا زال محروس المهابة ما غدا

بيت الإله مــــــابة الحـــجــاج

ونقش في الدائرة العليا للبهو، العبارة الآتية مكررة: «عز لمولانا السلطان أبي الحجاج».

ونقشت في أسفل مدار القبة بحروف بيضاء نص سورة تبارك كلها وأولها: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ وأولها: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بَيدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ آ الَّذِي خَلَقَ اللَّهُ سَمَوات وَالْحَيَاة لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ آ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوات طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُت فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ آ ثُمَّ الله المُعَلَى مِن فُطُورٍ آ ثُمَّ الله وَمَن مَعِي أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٠) قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنًا بِهِ أَهْلَكَنِيَ اللّهُ وَمَن مَعِي أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٠) قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنًا بِهِ

وعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مِّبِينٍ (٣٦) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ (٣٦) ﴾ .

وعلى جدار المشرفية، وهو الجدار الشمالي للبهو نقرأ هذه العبارة منقوشة في أعلاه: النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا أبي الحجاج أمير المسلمين نصره الله مكررة مراراً.

ونقش في محيط البهو شعار بني نصر: «لا غالب إلا الله». ونقشت الأبيات الآتية في إحدى فجوات القبة السفلي:

تحييك منى حين تصبح أو تمسى

ثغور المنى واليمن والسعد والأنس

هي القبة العليا ونحن بناتها

ولكن لي التفضيل والعز في جنسي

جوارح كنت أتقلب لا شك بينها

وفى القلب تبدو قوة الروح والنفس

وإن كان أشكالي بروح سمايها

ففي عدا ما بينها شرف النفس

كــسانى مـولاى المؤيد يوسف

ملابس فخر واصطناع بلا لبس

وصيرنى كرسى ملك فأيدت

علاه بحق النور والعرش والكرسي

ونقشت في الفجوات الأخرى مقابل هذه الأبيات العبارة الآتية: «النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا أبي الحجاج أمير المسلمين أيد الله أمره وعز نصره».

ويؤدى بهو البركة من جهته اليمنى إلى فناء سفلى يعرف بفناء السرو، وقد استحدثه الإسبان وزرعوا فيه بعض أشجار السرو، وإلى جانبه يقع جناح الحمامات السلطانية.

حمامات الحمراء:

يعتبر حمام الحمراء، الواقع إلى جانب السرو، قرب بهو البركة، من أروع الحمامات العربية، فهو تحفة فنية رائعة تتواكب مع فتنة الحمراء. وتشتمل هذه الحمامات على ثلاثة أقسام: الاستراحة، والغرفة الدافئة والغرفة الساخنة. أما الاستراحة، ويسميها الإسبان قاعة السريرين، فتتألف من سريرين أقيما بالطوب في جانبي القامة، وكسيا بالقراميد ذات الألوان المختلفة، وبأعلى هذين السريرين عقدان صغيران ذات الألوان المختلفة، وبأعلى هذين السريرين عقدان صغيران متجاوران، يقومان على ثلاثة عمد، وبأعلى هذين السريرين نقدان على الجانبين لصق الجدارين، والشالث في غاية في الدقة والرشاقة، اثنان على الجانبين لصق الجدارين، والشالث في الوسط، وأمام السريرين نافورة مياه، وتعتبر هذه الردهة – وفي العادة – استراحة، يجلس فيها السلطان قبل أن يمضي إلى الغرفة الدافئة، ومن المحتمل لكي يخلع فيها ملابسه، فضلاً عن أنها بعد الفراغ – من الحمام، يجلس بها السلطان بعض الوقت قبل مغادرته.

أما القسم الثاني من الحمامات فهو الغرفة الدافئة وتلى الاستراحة مباشرة، وفيها نجد حوضًا كبيرًا، تتصل به أنابيب سفلية، علاوة على أنابيب

أخرى بالحوائط لتدفئة المكان، وكلها تتصل من الجهة الأخرى ببيوت النار، وذلك بطريقة فنية محكمة بالإضافة إلى أنبوبة مستقلة تنشر العطر في جو الحمام (١١).

ويلى هذه الغرفة، الحجرة الساخنة، وبها هى الأخرى حوض كبير تعله كوة فى الجدار، وبها فـتحتان، كانتا فـيما مضى منبعًا للماء بـنوعيه الساخن والبارد، وبهـذه الكوة قشت قـصيـدة من ستـة أبيات، من نظم الشـاعر ابن زمرك، وهذه الأبيات هى:

أعــجب شيء حـادث أو قــديم

مرابض الأسد ببيت النعيم

من أســـد قــابله مـــثله

قاما لدى المولى مقام الخديم

تقاسما وصفى علاه فمن

باس له جـام وجـود عـمـيم

يفييض ذا عين برودا وذا

ضد له فهو يفيض الحميم

هذا وكم من عــجب عــاجب

يسره سعد المقام الكريم

⁽۱) د. محمد كمال شبانة: شواهد من الفن المعمارى الأندلسي في عصر السلطان أبي الحجاج يوسف (۷۳۳ - ۷۵۵هـ). منبر الإسلام، يوليو، ص ۱۵۹ - ۲۱۶.

من كابي الحجاج سلطانا

لا زال في نصر وفتح عظيم

وبهذه الحمامات بعض النقوش الخطية الأثرية بنى نصر «ولا غالب إلا الله» ومنها حكم سائرة من مثل «الله عدة بكل شدة»، ومنها دعاء لمنشئ هذا الجناح من الحمراء مثل: «عز لمولانا أبى الحجاج» ومنها آيات كريمة كقوله تعالى: «نصر من الله وفتح قريب».

وتشير بعض النقوش والزخارف الكتابية إلى دور ابن الحجاج في إكمال ما نقص من بنيان هذا الحمام.

قاعة الأختين:

تقع شرقى بهو (فناء) البركة قاعة الأختين، ونصل إليها من باب الفناء الشرقى من رواق مظلم وقيل أنها سميت بهذا الاسم لاحتواء أرضها على قطعتين متساويتين وفريدتين من الرخام. وقد نقش عند مدخلها بالخط الكوفى «ولا غالب إلا الله» مكررة، ونقشت هذه العبارة أيضًا حول جدرانها فى أسفل وأعلى، ونقش تحتها بعض الأبيات المقتبسة من قصيدة الوزير ابن زمرك(۱).

ويحيط بقاعة الأختين عدة شرفات، الشرفة الرئيسية تسمى منظرة داراشا أو ليندراشا ويقال أن الأولى تحريف لدار عائشة، والثانية لعين دار عائشة (٢).

⁽١) نفح الطيب: جـ٤ ص ٧٠٥ - ٧٠٩ طبعة بولاق، تراجع القصيدة كاملة.

⁽٢) المقصود من «عين» هنا - المنظرة (د. مؤنس)

بهو الأسود:

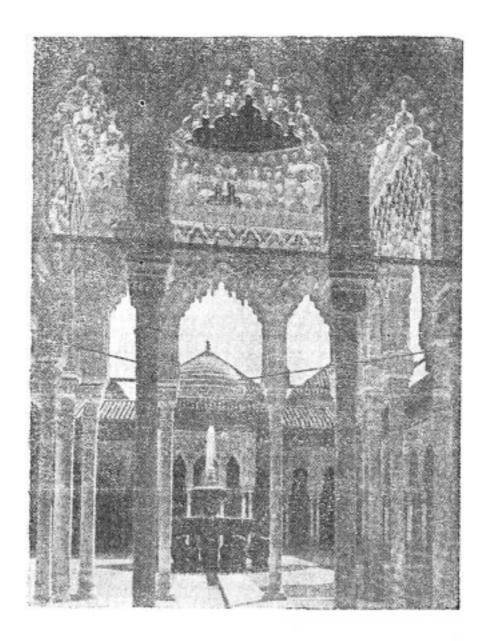
وتؤدى قاعة الأختين من بابها الجنوبي إلى أروع أجنحة الحمراء - بهو الأسود أو بهو السباع. وقد أنشأه السلطان محمد الغنّي بالله الذي تولى السلطنة في عام ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م وتوفي سنة ٩٧هـ/ ١٣٩١م، ويقابلنا اسمه في كثير من مواضع هذا الجناح.

وشاءت الظروف أن يظل هـذا القصر سليـمًا لم يلحـقه التدمـير الذى أصاب العمائر الإسلامية بالأندلـس عقب استرداد المدن الإسلامية وذلك لأنه اتخذ مسكنًا للملكين الكاثوليكيين فرناندو وإيزابيـلا عقب سقوط غرناطة عام 1٤٩٢م في يدهما(١).

وزائر هذا البهو يصل إليه من باب صغير مفتوح في الجدار الفاصل بينه وبين بهو الرياحين (البركة) الذي كان المقر الرسمي لسلاطين بني الأحمر حيث كانت تقام حفلات الاستقبال في قاعة السفراء ببرج قمارش على الفناء المشتمل على بركة مستطيلة محاطة بشجر الريحان فإذا عبرنا هذا الباب وجدنا أمامنا بهو السباع وهو القصر الخاص بسكني السلاطين. شيده السلطان محمد الخامس (١٣٥٤ - ١٣٦١)، كما تدل على ذلك النقوش الكتابية التي تزين الجدران.

البهو عبارة عن فناء يحيط به ممر ومن خلفه القاعات والغرف. الفناء مستطيل تبلغ أبعاده - ١٢٦ × ٧٣ × ٥, ٢٢ قدمًا وتتوسطه نافورة بلغت شهرتها الآفاق وهي نافورة السباع. وهي تبدو كقطعة كبيرة من الرخام قطرها

⁽١) جمال محرز: بهو السباع بقصر الحمراء بغرناطة. المجلة التاريخية المصرية.



ساحة السباع

٥, ١٠ قدمًا وعمقها قدمان ويدور حول حافتها العليا من الخارج نقش عربى في أبيات من الشعر لابن زمرك سنذكرها فيما بعد. ويحمل هذه القصعة اثنا عشر أسدا ارتفاع كل واحد منها قدمان ونصف تمج الماء من أفواهها حيث تنساب في قنوات تصل إلى نافورتين إحداهما بغرفة ابن سراج والأخرى بغرفة الأختين، كما تصل أيضًا إلى نافورتين أسفل الكشكين وبكل كشك نافورة من الرخام.

ويصل الماء إلى قصر الحمراء من نهر حدرة، وهو عمل هندسى راق يدل على براعة المهندسين المسلمين إذ استطاعوا أن يرفعوا الماء من أسفل الجبل إلى قمته فأحالوا تلك المنطقة إلى جنة خضراء.

ويحيط بالبناء عمد تبلغ ١٢٤ عموداً موزعة حولها فرادى أو مثنى أو ثلاث أو رباع، وجميعها من الرخام الأبيض، ويبلغ طول العمود الواحد عشرة أقدام، وتمتاز برشاقتها، وتقرأ أحيانًا فوق تيجانها عبارة «ولا غالب إلا الله» شعار بنى الأحمر. وبالفناء كمشكان، كشك بكل ضلع، وارتفاع كل منهما ٢٩ قدمًا، ويتكون من ١٢ عقداً من المقرنصات يحملها ٢٠ عموداً ذوات تيجان مزينة بنقوش كتابية ومزخرفة بالجص المخرم. وقبة الكشك نصف كروية ومزخرفة بمتشابكات من نجوم وأشكال متعددة الأضلاع.

ومن خلف هذين الكشكين والأعمدة المقامة حول الفناء ممر عرضه ٥,٧ قدم، ويدور حول الفناء ومن ارتفاع واحد كورنيش من الخشب المزخرف الذى يحمل الحائر (الرفرف) المجمول على كوابيل مزخرفة.

وفى الفناء طائفة من النقوش التى كتبت بالخط النسخ أو الكوفى على الجدران والعمد والنافورة، وسنذكرها:

نقش شعار بنى نصر «ولا غالب إلا الله» بالنسخ والكوفى، فى الجانب القبلى خلف العمد، وفوق تاج كل عمود من العمد التى تحمل القبة، وكذلك على رءوس جميع العمد الأخرى. ونقشت العبارة الآتية على كل عمود ثان «عز لمولانا السلطان أبى عبد الله الغنى بالله».

ونقش على العمد التى تحمل القبة المواجهة (البحرية) «ولا غالب إلا الله» ونقش على رءوس العمد في المجموعتين الأخريين «عز لمولانا السلطان أبي عبد الله الغنى بالله».

وإلى جانب هذه الأدعية التي تمجد ذكرى أبي عبد الله منشئ هذا البهو نقشت قصيدة فوق دائرة قصعة النافورة التي تحمل الأسود، وتضم اثنى عشر بيتًا، وهي للوزير الشاعر ابن زمرك(١):

تبارك من أعطى الإمام محمدا

مغانى زانت بالجمال المغانيا

وإلا فهذا الروض فيه بدايع

أبى الله أن يلقى لها الحسن ثانيا

⁽۱) أبو عبد الله محمد بن يوسف بن زمرك (۱۳۳۳ - ۱۳۹۰) ولد في رياض البيازين بغرناطة، وزير من كبار الشعراء والكتاب بالأندلس، ولد بغرناطة، وتتلمذ للسان الدين بن الخطيب، جعله محمد الخامس الغنى بالله صاحب غرناطة كاتم سره، نكب ثم أعيد إلى مكانته فأساء إلى بعض رجال الدولة، قتل في داره رافعًا المصحف وقتل معه خدامه وبنوه. وكان قد سعى في أستاذه لسان الدين حتى قتلوه خنقًا، فلقى جزاءه. جمع السلطان ابن الأحمر شعره وموشحاته في مجلد ضخم سماه «البقية والمدرك من كلام ابن زمرك»؛ وانتشر الكتاب في الأندلس والمغرب؛ ونقل عنه المقرى وأطال في نفح الطيب وأزهار الرياض.

ومنحوتة من لؤلؤ شق نورها

تجلى بمرفض الجمان النواعيا

يذوب لجبن سال بين جواهر

غدا مثلها في الحسن أبيض صافيا

تشابه جار للعيون بجان

فلم ندر منهما كان جاريا

ألم ترى أن الماء يجرى بصفحها

ولكنها مدت عليه المجاريا

كمثل مخب فاض بالدمع جفنه

وغص بذاك الدمع إذ خاف واشيا

وهل هي في التحقيق غير غمامة

تفيض إلى الآساد منها السواقيا

وقد أشبهت كف الخليفة إذ غدت

تفيض إلى أسد الجهاد الأياديا

فيا من رأى الآساد وهي روابض

عداها الحيا عن أن تكون عواديا

ويا وارث الأنصار لا عن كلالة

تراث جلال يستخف الرواسيا

عليك سلام الله فأسلم مخلدا

تجدد أعيادا وتبلى أعاديا

وفى منتصف الجانب الجنوبى من بهو الأسود، يقابلنا مدخل قاعة بنى سراج. تلك الأسرة الغرناطية التى كان لها دور هام فى نهاية تاريخ غرناطة الإسلامي.

قاعة بنى سراج:

تعلو القاعة المستطيلة قبة مضلعة وفي جوانبها كوات صغيرة، وقد نقشت في دائرة القبة الوسطى عبارة «ولا غالب إلا الله» بالنسخ والكوفي، ونقش في دائرتين في الجهتين اليمني واليسرى، بيت شعر من نظم ابن زمرك:

فتحسبها الأفلاك دارت قسيها

تظل عمود الصبح إذ لاح باديا

ونقش في جدار الصدر في مواجهة الداخل هذان البيتان من نظم ابن زمرك:

تبيت له كف الثريا معيدة

ويصبح معتل النواسم راقيا

وتهوی النجو الزهر لو ثبت به

ولم تك في أفق السماء جواريا

وفى وسط القاعة حوض نافورة مستدير من المرمر وكان لها منفذ آخر يواجه مدخلها، فسده الإسبان.

قاعة الملوك:

وفى الناحية الشرقية لبهو الأسود، مدخل قاعة الملوك وتعرف أيضًا بقاعة العدل. ومدخلها عقد مثلث الجوانب، وبها ثلاث عقود أو حنايا، رسمت فى سقف الحنية الوسطى منها صور عشرة فرسان مسلمين يلبسون العمائم، ويجلسون على الوسائد، وتتسم هيئاتهم بالوقار ويقال أن هذه الصور لملوك غرناطة العشرة الذين تولوا الحكم قبل أبى عبد الله، أولهم محمد الغنى بالله، وآخرهم السلطان أبو الحسن والد أبى عبد الله.

منظرة اللندراخا:

وفى شمال قاعة الأختين، وشمال بهو الأسود، تقع منظرة اللندراخا. نشاهد في عقد المدخل فجوتين، نقشت بينهما عبارة «ولا غالب إلا الله».

ونقشت في كل منهما أربعة أبيات، تبدأ اليمني منهما:

كل صنع أهدى إلى جـمـاله

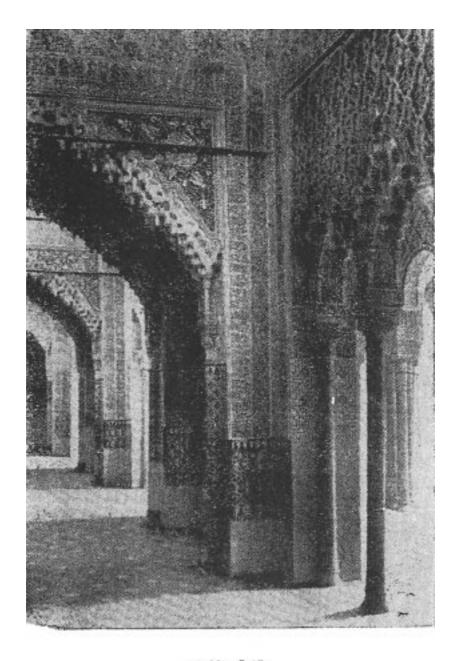
وحبانى بهاءه وكماله

من رآنی یظننی کـــالدنـی

تخطب الإبريق تبعى أن تناله

فإذا مبصرى تأمل حسنى

أكذب الحسن بالعيان خياله



قاعة الملوك

ونقرأ في الفجوة اليسرى:

لست وحدى قد اطلع الروض منى

عجبالم تر العيون مشاله

ذاك صرح الزجاج من قدر رآه

ظنه لجـــة تروح وهاله

كل هذا صنع الإمام ابن نصر

حرس الله للملوك جلاله

آله في القديم حازوا المعالى

وهم آووا السنبسى وآلسه وهم آووا السنبسى وآلسه ونقش تحت هذه الأبيات «عز لمولانا السلطان أبى عبد الله بن مولانا السلطان أبو الحجاج».

ونقشت حول النافذتين اللتين بالرواق، قصيدة من اثنى عشر بيتًا:

وجاء بها يراد الهواء نسيمها

فصحت هواء والنسيم قد اعتلا

وقد حزت من كل المحاسن غاية

تقبس عنها الشهب في الأفق الأعلى

وإنى بهذا الروض عين قديرة

وإنسان تلك العين حقًا هو المولى

محمد المحود بالبأس والندى

وذو الصيت ما أعلى وذي الهدى ما أملى

تجلى بأفق الملك بدر هداية

وما هو إلا الشمس حلت بمنزل

أفيء عليه كل خيير به ظلا

يطالع منى حضرة الملك كلما

تجلى بكرسى الخلافة ما استجلى

ويرسل طرف الطرف في ملعب الصبا

فيرجع مرتاح المعاطف قد كلا

منازل فيها للعلون منارة

تقيد منها الطرف أو تعقل العقلا

وأبدى بها أفق الزجاج عجائبا

تخط على صفح الجمال وتستملا

تعدد فيها اللون والنور واحد

فإن شئت قل ضد، وإن شئت قل مثلا

ونقش على صحن نافورة اللندراخا قصيدة من تسعة عشر بيتًا، مطلعها:

أنا حـــقــا فلم الماء بدا

للأنام ظاهرا لم يحسجب

لجنة عظيمة ساحلها

من بديع المرمر المنتخب

متزين الملكة:

بقى أن نذكر أن هناك رواقًا بين قاعة الأختين وبين منظرة اللندارخا، بهب باب يؤدى إلى ساحة مستطيلة، أنشئت أيام الإمبراطور شارلمان، وفى هذه الساحة بابان يفضى كلاهما إلى الطبقة العليا التى تقع فوق جناح الحمامات، ويتصل بهذه الساحة رواق ضيق يؤدى إلى «متزين الملكة»، وهو جناح علوى صغير يقع فى نهاية الطرف الشمالي للحمراء، تحت البرج المسمى «برج المتزين»، وهو برج يرجع إلى عصر السلطان يوسف أبى الحجاج، ويحتوى متزين الملكة على بهو صغير منخفض السقف، أنشئ فى القرن السادس عشر بعد سقوط غرناطة، ورسمت على جدرانه صور وزخارف مسيحية، وتطل شرفة المتزين على مدينة غرناطة وعلى مرجها الساحر.

الروضة:

وتقع فى خارج الحمراء خرائب «الروضة»، أو مدفن ملوك بنى نصر، وهى واقعة فى جنوب شرقى فناء السباع، وعلى مقربة من كنيسة سانتا ماريا التى شيدت فوق مرتفع مسجد الحمراء(١)، كان يقع مسجد الحمراء فى وسط

⁽١) محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية ص ١٦٥ - ١٧٦.

الهضبة، جنوبى الروضة. وقد أمر بإنشائه السلطان محمد المخلوع المعروف بمحمد الثالث ملك غرناطة (١٣٠٢ – ١٣٠٩م) وقد بناه على أبدع طراز، وزوده بالعمد والزخارف والثريات الفخمة، فكان على صغر مساحته من أفخم مساجد غرناطة (1). ولما احتل الإسبان غرناطة تركوا المسجد على حاله عصراً، بعد أن أقاموا فيه هيكلاً واستعملوه كنيسة، ثم هدم في عام ١٥٧٦م عصر فيليب الثانى ابن شارلمان، وأقيمت مكانه كنيسة سانتا ماريا ذات البرج الشاهق الذي يعلو كل صروح الحمراء.

ولم يبق من مخلفات هذا المسجد سوى مصباح برونزى بديع الشكل والزخرف يحفظ الآن في متحف مدريد الوطني.

جنة العريف:

شيد هذا القصر في أواخر القرن الثالث عشر، ثم جدد وزين على يد السلطان أبي الوليد إسماعيل ملك غرناطة (حكم ١٣١٤ - ١٣٢٥م).

ويقع هذا القصر في شمال شرقى قصر الحمراء، فوق ربوة مستقلة، وهو يشرف على الحمراء، وتدخل إليه من مدخل بسيط، نقشت سورة الفتح على لوحة خشبية كبيرة تحيط بالجزء الأعلى من رواق المدخل. ويؤدى هذا المدخل إلى ساحة كبيرة، في صدرها مدخل ذو ثلاثة عقود عربية جميلة الزخارف وقد نقشت في مربعاتها القصيدة الآتية:

قصر بديع الحسن والإحسان

لاحت عليه جلالة السلطان

⁽١) الإحاطة لابن الخطيب جـ١ ص ٥٥٤ و٥٥٥.

راقت مــحـاسنه وأشــرق نوره

وهمت سحائب جوده الهتان

رقمت يد الإبداع في أرجائه

وشيا كمثل أزاهر البستان

فكأن مجلسه العروس تبرجت

عند الزفاف بحسنها الفتان(١)

وكفاه من شرف رفيع القدر أن

نال اعتناء خليفة الرحمن

خير الملوك أبو الوليد المنتقى

من نخبة الأملك من قحطان

المقتدى بالطاهرين جدوده

أنصار خير الخلق من عدنان

لحقته منه عناية قد جددت

منه جهال مصانع ومبان

في عام نصر الدين والفتح الذي

هو بالحقيقة آية الإيمان

⁽١) تصل إلى قصر جنة العريف من طريق طويلة صاعدة تظللها الأشجار، ثم تجوز إلى أخرى تظللها أشجار السرو الكثيفة.

لا زال معنوا بسعد خالد

فى نور إرشاد وظل أمان

وقد نقشت آية الكرسي في الجزء الأعلى من هذا العقد.

وفى القصر نقوش عدة متفرقة، فوق عمد العقود، وفى عقود النوافذ، وفوق الجدران، وفي دوائر صغيرة منها:

لا إله إلا الله محمد رسول الله

ولا غـــالـب إلا الله

العـز القائم الملك الدايم الله

الغيطة المتصلة

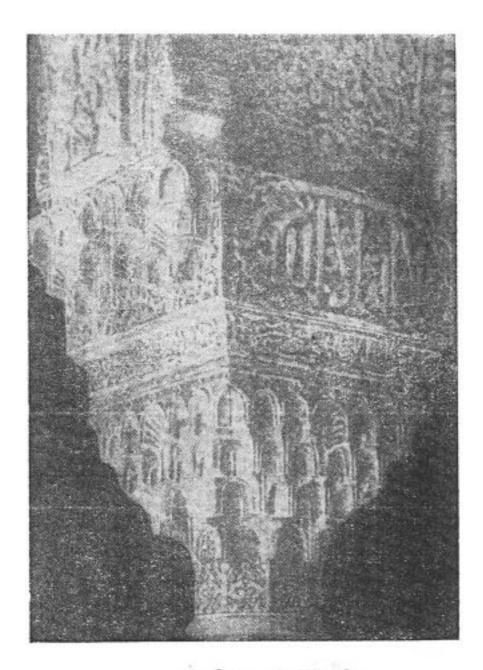
الحمد لله على نعمة الإسلام

الملك لله وحـــده

وفيما يبدو كان قصر جنة العريف مصيفًا أو متنزهًا لسلاطين غرناطة يقصدونه للاستجمام والاستمتاع بجمال موقعه، ويلجأون إليه لتمضية أوقات فراغ ومتعة.

إن آية فن الحدائق عند المسلمين هي حدائق جنة العريف. . هي شيء رائع من أشجار الحور والأزهار والورد من كل صنف ولون وشجر الريحان ووسط كل ذلك تقوم برك الماء والنوافير. .

إن ما ذكرناه يتعلق بالطبقة السفلي من قصر جنة العريف. ولكن الملكة «إيزابيلا» ملكة قشتالة قامت بعد الاستيلاء على غرناطة سنة ١٤٩٢م؛ بإنشاء



تاج واحد من عمد الحمراء عليه نقش كتابي «لا اله الا الله»

طبقة عليا فوق البناء الأندلسي، تتكون أيضًا من رواقين طويلين، ومن جناحين متقابلين في الشمال والجنوب، ذات سقوف مضلعة، على طراز عصر الأحياء. وكان الجناح الشمالي يضم متحفًا فيه عدة صور تاريخية لبعض ملوك قشتالة، والملكين الكاثوليكيين «فرناندو» و «إيزابيلا»، وصورة يقال إنها صورة أبي عبد الله محمد بن أبي الحسن آخر ملوك الأندلس. وقد استمر هذا المتحف قائمًا حتى عام ١٩٢١م. ويغلب اليوم الخراب على الطابق الأعلى من قصر جنة العريف وقد نزعت نوافذه ولكن القصر الأندلسي الأصيل ما زال بالرغم من هذا التشويه يبدو بطرازه العربي أخاذًا رائعًا(۱).

البرطل:

يطلق لفظ البرطل على مجموعة من المبانى بقصر الحمراء شرقى بهو السباع وهى تتكون من برج السيدات يلاصق قاعة أمامها رواق. وأما هذه المجموعة بركة ماء. ويلاصق البرج عدة منازل صغيرة من الجهة الغربية، وفى المنزل الأول منها رسوم جدارية، ويقابل البرطل فى اللغة الإسبانية El Parcal وقد بحث رسوم البرطل طائفة من علماء الآثار، كان وفى الإنجليزية Portico وقد بحث رسوم البرطل طائفة من علماء الآثار، كان من بينهم الدكتور جمال محرز^(۲) بعد عملية ترميم لأنه كان آيلاً إلى السوقط. وتوضح هذه الرسوم مناظر صيد وفرق الجنود بملابسهم وسلاحهم ورخارف هندسية جميلة.

* * *

⁽١) د. محمد عبد الله عنان: قصر جنة العريف. مجلة قافلة الزيت في شوال عام ١٣٩٠.

⁽٢) د. جمال محرز: الرسوم الجدارية أو الإسلامية في البرطل بالحمراء، مدريد ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.



يرجع الفضل إلى بني زيري على أيام ملوك الطوائف أن قامت غرناطة تزهو كمدينة. فقد نهض الأميران حبوس (١٠١٩ - ١٠٣٨) وباديس (۱۰۳۸ - ۱۰۷۳)، بتشیید سور منبع یحیط بالمدینة وما زال باقیاً داخل المدينة فيـما بين باب البيـرة إلى الباب الجديد وتتخـلله كثير من الأبراج غـير المنتظمة الشكل، أو الكثيرة الأضلاع أو نصف المستديرة. وفي هذا الجزء من السور يوجد بابان: باب المنيدة والباب الجديد ولتلك الأبواب أقواس مبنية بالحجارة أو الآجر وتعلوها أعتاب من الآجر وأقواس مدعمة. ولهذه الأبواب مرافق منثنية Bent entrance ولذلك فإنها تعتبر من أقدم النماذج المشيدة بهذا الأسلوب في إسبانيا، وكان هناك حتى القرن الماضي بوابتان عظيمتان اختفتا اليوم، وهما باب الرملة وباب مورور. وكان يشغل قصر بنسي زيري الجزء العلوى للقصبة القديمة ولم يبق شيء من هذا القصر سوى صهريج يستمل على أربعة أقبية وبعض أجزاء من الجدران. ومن آثار غرناطة العتيقة أو القصبة القديمة الباقية الحمامات العربية وتعرف باسم الحمام الصغير وهو فعلاً حمام صغير ولكنه كامل الصحن للاستراحة وخلع الملابس، وفي وسطه مغطس، ثم غرفة الماء البارد، وبهو الماء الساخن تحت عقود صغيرة، ثم المستوقد حيث يسخن الماء ثم يجرى في أنابيب إلى الغرفة الساخنة.

وقد عثر في غرناطة على مخلفات قلائل من أعمال الزخارف بالإضافة إلى بعض تيجان العمد. وهناك في معهد «فلنسيادون خوان» في مدريد ما

يشبه صينية التوابل وهي عبارة عن قطعة من الرخام المنحوت قسمت إلى عدة أقسام ونقشت عليها بعض الكتابات الكوفية.

آثار العصر المرابطي والموحدي:

لم يطرأ تغير كثير على غرناطة في أيام هاتين الأسرتين الأفريقيتين، ومن الممكن القول بأن الحصون القائمة إلى غرب الحمراء والتي تعرف اليوم باسم أبراج البرميخا (Bermejas) ترجع إلى القرن الحادي عشر. ويشاهد في المتحف الأثرى بمدريد بعض القطع الخشبية والجصية التي تنسب إلى العصر المرابطي وقد صنعت ببراعة ودقة فائقة، والأثر الوحيد الباقي في غرناطة من عصرهم هو قصر صغير في أقصى غرب غرناطة يعرف اليوم بقصر نهر شنيل وقد تكلمنا عنه.

آثار بنی نصر:

خير الآثار هي التي تنسب إلى أيام بني الأحمر. ولنبدأ بغرناطة نفسها. فقد امتدت أسوارها بعد ما طرأ عليها من الاتساع في أيام بني نصر خارج حي البيازين. ويلاحظ أنه في نهاية القرن الثالث عشر وخلال القرن الرابع عشر ازدهرت حركة التعمير والبناء وظهرت فيها أروع العمائر التي اشتملت على أجمل ما عرف في الأندلس من النقوش والزخارف. وفي القرن الخامس عشر ندرت إقامة أمثال تلك العمائر النبيلة. ومما يؤسف له أن معظم المباني الدينية في غرناطة افتقدت بعد أن خربها النصاري بعد حركة الاستعادة.

حي البيازين:

يتركز أهم ما بقى من آثار غرناطة الإسلامية (بعد الحمراء وقصبتها) فى حى البيازين وهو ما يزال إلى اليوم من أكبر أحياء غرناطة. وقد احتفظ بطابعه الأندلسى. ويقع هذا الحى فى شمال شرقى غرناطة تجاه هضبة الحمراء. ويفصله عنها نهر حدرة، ويمتد على سفح التلال حتى أسوار غرناطة القديمة. وفى حى البيازين ثلاثة من أبواب غرناطة الإسلامية تحتفظ بعقودها العربية. وهى باب البيازين، وباب فحص اللوز، وباب الزيادة. ويقع الباب الأخير فى ميدان أو رحبة باب الزيادة.

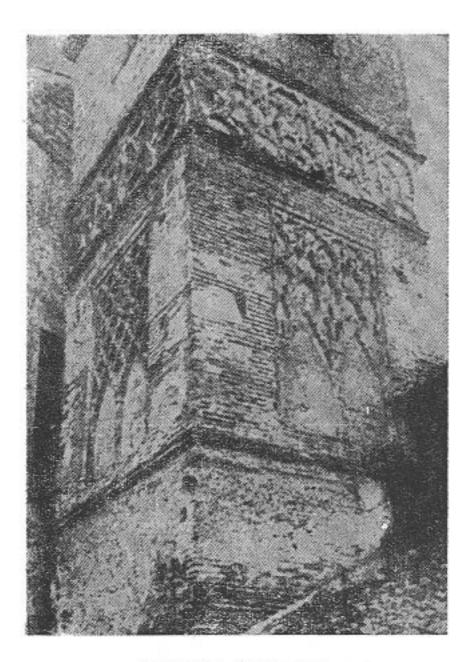
وهناك بقية من أسوار المسجد الجامع وعدة من بوائكه وجزء من صحفه. وشيدت على أنقاض مسجد المرابطين كنيسة سان خوسيه. وما زالت مئذنة المسجد القديم قائمة وقد حولت إلى برج لأجراس الكنيسة.

وما زالت كنيسة سان خوان دى لوس ريس تحتفظ بمئذنة مسجد آخر (القرن ٧/ ١٣٣م) بعد إضافة برج الأجراس إليها.

وميدان باب الرملة - القيسرية التي كانت سوق غرناطة الكبير. ومازالت تحتفظ بدروبها الضيقة. ولما أحرقت القيسرية الأندلسية في عام ١٨٣٤م أعيد تخطيط بنائها على نفس نظامها القديم. وما زالت القيسرية تحتفظ ببايين قديمين.

مدرسة غرناطة القديمة:

أنشأها السلطان يوسف أبو الحجاج (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م). وتقع اليوم في درب ضيق وقد أزيل بناؤها الأصلى من القرن الثامن عشر، ولم يبق من



احدی الآذن وهی الیوم برج اجراس کنیسة خوان دی لوس ریس

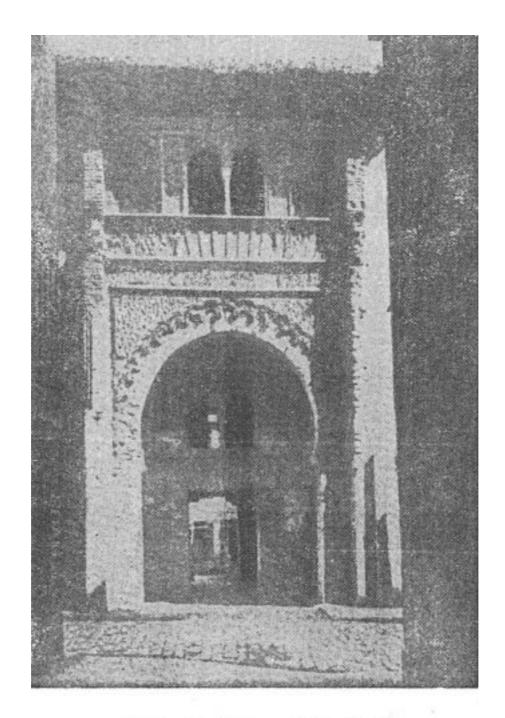
المبنى القديم سوى الجنوء الذى يحتوى على المحراب (بيت الصلاة). أما النقوش العربية فقد نقلت إلى متحف آثار غرناطة وإلى متاحف أخرى. ويوجد في خارج غرناطة القديمة دير سان سبستيان الصغير ويشتمل على مصلى صغير شيد في القرن الخامس عشر، وربما كان هذا المحراب لضريح، وهو مربع الشكل تعلوه قبة ذات ستة عشر ضلعا.

ولم يبق من حمامات غرناطة القديمة العامة سوى حمام واحد، يقع اليوم في شارع «كاليه ريال» وينسب طراز هذا الحمام إلى الطراز القديم، فهو يشتمل على ثلاث غرف مقباة تقوم على محور واحد، يسبقها غرفة لخلع الملابس والراحة.

المارستان والفندق:

أما المستشفى أو الماريستان فقد تخرب، بيد أنه احتفظ بتخطيطه الأصلى. يحف بفنائه الأوسط أروقة لها عقود محدبة فى الطابق الأسفل، وكان يقوم حيث تنهض اليوم كنيسة القديس لازار. وكان موضع باب المارستان معروفًا إلى حين قريب باسم «بينفاماسداد».

وأكمل مبنى باق إلى اليوم فى السهل هو الفندق الجديد وهو واحد من عشرات الفنادق التى قامت فى غرناطة ويعرف اليوم باسم خزن الفحم من عشرات الفنادق التى قامت فى وقت ما مخزنًا للفحم، وقبل ذلك استخدم مسرحًا وديرًا. ولهذه الدار فناء تحيط به البوائك ذات الطابقين. وتشبه عمارة هذا الفندق ما نراه فى الفنادق المرينية فى فاس. وللفندق مدخل رائع له بوابة ضخمة وكانت تعلوه النقوش فى زمانه القديم.

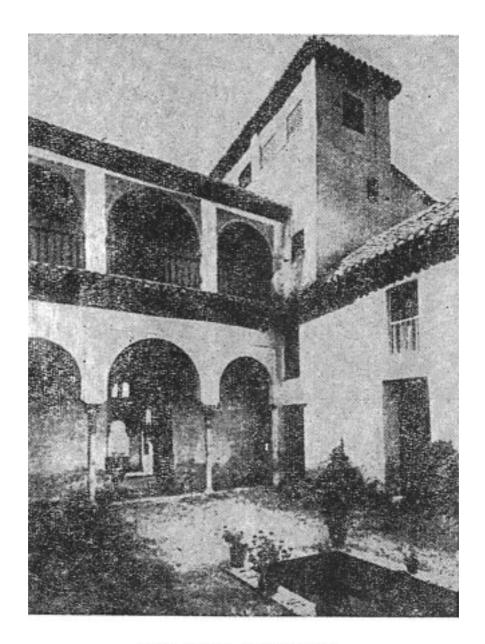


بوابة فناء الفحم - القرن ١٤ غرناطة

وعلى المصعد المؤدى إلى تل البياسين تقف الدار المعروفة باسم دار الحرة، وكانت إلى عهد قريب تعرف بدير القديسة إيسابيلا الملكى، ثم أخلوه ليحتفظوا به أثرًا. وهذه الحرة هي السيدة عائشة زوجة السلطان النصرى أبي الحسن الغالب بالله الذي تولى العرش سنة ٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م وكانت أميرة باسلة شديدة الاعتزاز بأبيها السلطان.

عنيت إسبانيا بتلك الآثار في السنوات الأخيرة وكشفت عن زخارفها وأعادت بعضها إلى ما كانت عليه في زمانها. ومع ذلك فإن قصر الحمراء يعتبر اليوم من أجمل الآثار الإسلامية ليس في الأندلس فحسب بل في العالم الإسلامي كله.

* * *



دار الحرة في غرناطة بناها السلطان أبو الحسن بن نصر والد أبي عبد الله

ملحق أول موجز تاريخ الأندلس العربى من ألفه إلى يائه (۷۱۱ - ۷۱۲م)

- 91هـ ٧١١/٧١٠ : إرسال الطلائع العربية إلى إسبانيا، عبور العرب البحرين سبتة ونزولهم في البقعة المقابلة التي عرفت باسم جزيرة طريف نسبة إلى القائد طريف بن مالك.
- 97هـ ٧١١م: إعداد سبعة آلاف مقاتل من العرب والبربر تحت قيادة طارق بن زياد الليثي وعبورهم البحر ونزولهم في جبل طارق. احتلال ولاية الجزيرة.
- 97 هـ ٧١١م: التحام المسلمين والقوط على ضفتى نهر وادى لكة الذى يصب فى خليج قادس. انتصار طارق وتشتت الأعداء ثم امتناعهم بالقالاع. التقدم إلى مدينة شدوية (سدونيا) والاستيلاء عليها وقوع قرمونة التقدم إلى استجة اقتتال الفريقين وتمزق جموع العدو الزحف إلى طليطلة عاصمة القوط الاستيلاء على قرطبة الزحف في اتجاه غرناطة والبيرة وملقا -

فتح غرناطة - عبور جبال أستوريا والإشراف على خليج غسقونيا - وصول أوامر موسى بن نصير إلى طارق للعودة إلى طليطلة (٧١٣).

98 هـ - ٧١٧م: وصول موسى بن نصير من أفريقيا وزحفه إلى أشبيلية ثم تسليمها - الاستيلاء على ماردة - مقابلة القائدين موسى بن نصير وطارق بن زياد بالقرب من طليطلة - تأنيب طارق - زحف القائدين إلى ولاية أراجون - الاستيلاء على سرقسطة وتراغونة وبرشلونة وغيرها وبناء مسجد في سرقسطة - غزو ولاية لنجدوك أوسبتمانيا - الاستيلاء على قرقشونة (جنوب فرنسا) وأربونة.

90هـ - ٢١٤م: عودة موسى بن نصير إلى المشرق - دمشق تستدعى القائدين - نظم موسى دعائم حكومته قبل رحيله وجعل حاضرة العرب في أشبيلية وعهد بإدرتها إلى ابنه عبد العزيز بن موسى.

٩٦هـ - ٧١٥م: استيلاء العرب في أيام عبد العزيز على جيرونة وأربونة (ناريون).

۹۸ هـ - ۷۱۷م: وفاة موسى بن نصير.

٩٩هـ - ٧١٨م: الجربن عبد الرحمن الثقفي يغزو لانجدوك.

• ١٠٠هـ - ١٠٨م: السمح بن مالك يزحف إلى طولوشة - هزيمته ومقتله (٩ يونيو ٢٢١م) - عبد الرحمن الغافقي يتولى القيادة وعودة العرب إلى أربونة وامتناعهم فيها.

- ۱۰۱هـ ۲۷۲هـ : الأمير عنبسة بن سحيم الكلبى يجتاز جبال البرنيس - فتح قرقشونة - استيلاؤه على نيم.
- ۱۰۷هـ ۲۲۹م: استشهاده في كيم بإحدى المعارك حديرة يتولى القيادة.
- ۱۱۳هـ ۷۳۲م: الهیثم بن عبید یتولی الإمارة فی الأندلس عبوره البرنیس غزو لیون وشالون.
- ۱۱۳هـ ۷۳۲م: عبد الرحمن الغافقي يخترق ولاية أراجون ونافار ويدخل فرنسا في ربيع عام ۷۳۲م زحفه إلى آرتوا واستيلاؤه عليها تقدمه إلى بوردو واستيلاؤه عليها وعلى ليون وبيزانسون ثم بنبلونة استيلاؤه على تور وتقدمه إلى الشمال عجل بالمسير إليه شارل مارتل في جيش لجب.
- رمضان ١١٤هـ أكتوبر ٧٣٢م: معركة تور حيث التقت الجيوش العربية تحت قيادة عبد الرحمن بجيوش شارل مارتل تحول النصر العربي إلى هزيمة واستشهاد عبد الرحمن.
- ۱۱۲هـ ۲۳۲م: الأمير يوسف الفهرى عامل الأندلس يقوم بغارة كبرى في وادى نهر الرون وعبوره واستيلاؤه على آرل وبروفانس وأفينيون واسترداد شارل مارتل أفينيون بمعاونة قوات برغندية وحصاره أربونة.
- ٧٣٧م: هزيمة عقبة بن الحجاج عامل الأندلس أمام مارتل في أربونة، ثم استعادتها وبقيت في قبضة العرب حتى عام ٧٥١م.

۱۳۲هـ - ۱۰۷م: استيلاء بيبين القصير أول ملوك البيت الفرنجى الكارلويني على أربونة - وصول الطلائع العربية إلى وديان غرب سويسرة.

187 هـ - 00 م: وصول الأمير عبد الرحمن بن معاوية الأموى إلى الأندلس.

۱۳۹هـ - ۲۰۷م: انتصار عبد الرحمن في معركة فاصلة وسقوط قرطبة في يده.

٧٥٧م: سقوط شلمنقا ثم شقوبية (سيجوفيا)، ثم سمورا، فأبلة.

107هـ - ٧٧٣م: إعلان الأمير عبد الرحمن الاستقلال عن الخلافة العباسية - بداية حكم الأمويين في الأندلس وحاضرتها قرطبة.

٧٧٨م: حملات شارلمان في الأندلس.

١٧٠هـ - ٧٨٦م: وضع الحجر الأساسي للمسجد الكبير في قرطبة.

٧٩٦م: إمارة الحكم الأول في الأندلس - الاضطرابات في قرطبة.

٩١٣م: عبد الرحمن يصارع ثوار طليطلة وابن حفصون.

٩١٨م: استيلاء عبد الرحمن على قرمونة وحصن سنتمارية.

9٣٧م: تحالف الشمال الإسباني المسيحي ضد عبد الرحمن، فاضطر إلى السير إلى قلعة أيوب وبطليوس وسرقسطة - قتاله ضد النصاري والبشكنس وإخضاعهم - اقتحامه بنبلونة.

- ٩٣٩م: الحرب بين عبد الرحمن ورايدو الثاني وتيودا ملكة نافار هزيمة عبد الرحمن.
- **٩٦١م**: القتال بين الحكم المستنصر بالله وفرديناند كونزالز أمير قــشتالة وهزم الأول الثاني واستولى على سنت استفان وقلاع شتى.
- ۹۸هم: حارب المنصور الكونت بوريل أمير كاتالونيا وهزمه واستولى على برشلونة وعلى حصون أخرى في قشتالة.
 - ٩٨٨م: استيلاء المنصور على مدينة ليونى وزامورا.
 - ٩٩٥م: ولى المنصور معن بن عبد التجيبي على زامورا.
- ۱۰۰۲م: قام المنصور بآخر غزواته فاخترق قشتالة ولكن لحقه المرض فمات في ۱۰ أغسطس ۱۰۰۲م (۳۹۳هـ) ودفن بمدينة سالم بعد أن قضى في الحكم ۲۷ سنة.
- حارب عبد المعن بن المنصور ملكى نافار وليون وهزمهما فى بنبلونة وتوفى سنة ١٠٠٧م/ ١٠٠٨م.
 - ١٠١٥م: غزا مجاهد الداني جزر البليار.
- ۱۰۱٦م: احتل مـجاهد بعض أجـزاء من سردينية وقـورسقـة ثم وجه نشاطه إلى غزو سواحل إيطاليا وغالة.
 - ١٠٢٣ ١٠٩١م: بنو عباد في أشبيلية.
 - ١٠٢٧ ١٠٣١م: هشام الثالث آخر الأمويين في قرطبة.

- ٤٠ م: وفاة مجاهد وخلفه ابنه على فواصل سياسة أبيه. لم يستطع مواصلة الجهاد أمام منافسات الطوائف استولى بنو هود على ما بيده.
- ••• ١م: استخلاص سردينية من أيدى المسلمين على يد الجنوبيين وحلفائهم بتشجيع الباب ليو التاسع كانت الخطوة الأولى لضياع سيادة المسلمين على غرب البحر المتوسط.
- التى حكمت بين ١٠٩٠ و١١٤٧م فى شمال غرب أفريقيا وجنوب إسبانيا ويجعل حاضرته أشبيلية.
 - ١٠٨٠م: استيلاء القطلان على طرجونة.
 - ١٠٨١م: سقوط وادى الحجارة في أيدى القشتاليين.
- ٢٧٦هـ ١٠٨٣م: سقوط مدريد في قبضة ألفونسو السادس ملك قشتالة.
 - ١٠٨٣م: ألفونسو السادس يهزم المعتمد صاحب أشبيلية.
 - ١٠٨٥م: ألفونسو السادس يغزو طليطلة.
 - ٤٧٩هـ ١٠٨٦م: سقوط طليطلة في قبضة ألفونسو السادس.
- **٢٣ أكتوبر ١٠٨٦م**: يوسف بن تاشفين يهزم الإسبان في معركة الزلاقة.
- ١٠٩٠م: حـملة يوسف بن تاشفين على الأندلس وعـزله ملوك الطوائف.

١١٥هـ - ١١١٧م: سقوط تطيلة في قبضة الأرجونيين.

١٢٥هـ - ١١١٨م: سقوط سرقسطة في قبضة الأرجونين.

١١٠٧ - ١١٣٠م: محمد بن تومرت يؤسس دولة الموحدين.

٢٤٥هـ - ١١٤٧م: سقوط أشبونة في قبضة البرتغاليين والإنجليز.

١١٤٧م: سقوط شنترة في قبضة البرتغاليين.

١٧ أكتوبر ١١٤٧م: استيلاء الإسبان على المرية.

٣٤٥هـ - ١١٤٨م: استيلاء الأرجونيين على طرطوشة.

٤٤٥هـ - ١١٤٩م: استيلاء القطلان على لاردة.

٥٥٦هـ - ١١٦١م: سقوط باجة في قبضة البرتغاليين.

٩٠٠هـ - ١٢١٢م: انتصار الإسبان على الموحدين في الأندلس.

م۱۲۲م: الموحدون يجلون عن الأندلس - قيام دولة بنى مدين فى فاس - وبنى زيان فى تلمسان وبنى حفص فى تونس وبنى هود فى الأندلس.

٦٢٦هـ - ١٢٢٧م: سقوط بطليوس في قبضة القشتاليين.

٦٢٨هـ - ١٢٢٩م: استيلاء القشتاليين على ماردة.

۱۲۳۲ - ۱۶۹۲م: دولة بنى نصر فى الأندلس وحاضرتها غرناطة وهى آخر الأسرات الإسلامية فى الأندلس.

١٢٣٢م: فتح الأراجونيين ميورقة.

٦٣٣هـ - ١٢٣٦م: سقوط قرطبة في قبضة قشتالة.

٦٣٣هـ - ١٢٣٦م: سقوط قرطبة في قبضة قشتالة.

١٣٥هـ - ١٢٣٧م: سقوط استجة.

١٣٦هـ - ١٢٣٨م: استيلاء الأرجونيين على بلنسية.

٠٤٠هـ - ١٢٤٢م: سقوط شيلب في قبضة البرتغاليين.

• ٢٤٠هـ - ١٢٤٣م: سقوط قرطاجنة في قبضة القشتاليين.

٦٤١هـ - ١٢٤٣م: استيلاء الأرجونيين على مرسية.

١٤٤هـ - ١٢٤٦م: استيلاء القشتاليين على جيان.

١٢٤٥ على قرمونة.

: استيلاء القشتاليين على قلعة جاير.

٥٤٠هـ - ١٢٤٨م: استيلاء الأرجونيين على لورقا.

٦٤٦هـ - ١٢٤٨م: استيلاء فرناندو الثالث على أشبيلية.

: استيلاء الأرجونيين على ألش.

: استيلاء الأرجونيين على ليقنت.

٦٤٧هـ - ١٢٤٩م: استيلاء الأرجونيين على شاطبة.

: استيلاء البرتغاليين على شنبامرية الغرب.

١٥١هـ - ١٢٥٣م: استيلاء الأرجونيين على دانية.

٥٥٥هـ - ١٢٥٧م: سقوط ولبة في قبضة القشتاليين.

٦٦١هـ - ١٢٦٢م: سقوط أوريولة في قبضة الأرجونيين.

: سقوط قادس في قبضة ألفونسو العالم.

٣٦٦٣هـ - ١٢٦٤م: سقوط شيريش ألفرنتيرة في قبضة ألفونسو العالم.

١٩٦١هـ - ١٢٩٢م: سقوط طريف في قبضة القشتاليين.

٧٤٢هـ - ١٣٤٢م: سقوط الجزيرة الخضراء في قبضة القشتاليين.

٨٦٧هـ - ١٤٦٢م: سقوط جبل طارق في قبضة القشتاليين.

٨٨٧هـ - ١٤٨٢م: سقوط الحامة في قبضة الملكين الكاثوليكيين.

• ١٤٨٥ - ١٤٨٥م: سقوط رندة في قبضة الملكين الكاثوليكيين.

٨٩١هـ - ١٤٨٦م: سقوط لوشة في قبضة الملكين الكاثوليكيين.

٨٩٢هـ - ١٤٨٧م: سقوط أرشدونة في قبضة الملكين الكاثوليكيين.

: سقوط ملقا في قبضة الملكين الكاثوليكيين.

: سقوط بلش ملقا في قبضة الملكين الكاثوليكيين.

٨٩٣هـ - ١٤٨٨م: سقوط مربلة في قبضة الملكين الكاثوليكيين.

٥٩٨هـ - ١٤٨٩م: سقوط المنكب في قبضة الملكين الكاثوليكيين.

: سقوط متريل في قبضة الملكين الكاثوليكيين.

: سقوط بسطة في قبضة الملكين الكاثوليكيين.

: سقوط شلوبانية في قبضة الملكين الكاثوليكيين.

• ۱ ۱۹۰ م. اسقوط وادى آش فى قبضة الملكين الكاثوليكيين. : سقوط المرية فى قبضة الملكين الكاثوليكيين.

۱۹۷هـ - ۱۶۹۲م: دخول الملكين فرناندو وإيزابيلا غرناطة (التسليم النهائي).

* * *

ملحق ثان بنو نصر بغرناطة

١ - أبو عبد الله محمد (الأول) الغالب بن يوسف بن نصر.

٢٦٦ه_/ ٢٣٢١م.

٢ - أبو عبد الله محمد (الثاني) الفقيه بن محمد.

۱۷۲هـ/ ۲۷۲۱م

٣ - أبو عبد الله محمد (الثالث) المخلوع بن محمد.

۱۰۷هـ/ ۲۰۳۱م

٤ - أبو الجيوش نصر بن محمد.

۸۰۷هـ/ ۱۳۰۸م

٥ - أبو الوليد إسماعيل بن فرج.

۱۳۱۷هـ/ ۱۳۱۳م

٦ - محمد بن إسماعيل.

٥٧٧ه_/ ١٣٢٥م

٧ - أبو الحجاج يوسف (الأول) بن إسماعيل

۲۳۷هـ/ ۲۳۳۲م

٨ - محمد الغنى بالله بن يوسف.

٥٥٧ه_/ ١٣٥٤م

٩ - أبو الوليد إسماعيل بن يوسف.

۲۰هـ/ ۱۳۵۹م

١٠ - أبو سعيد محمود بن إسماعيل.

۱۲۷ه_/ ۲۳۱م

محمد الغنى بالله بن يوسف (للمرة الثانية)

٣٢٧هـ/ ١٣٣١م

١١ - أبو الحجاج يوسف بن محمد

٧٩٣هـ/ ١٣٩١م

١٢ - محمد المستعين بن يوسف.

۷۹۷هـ/ ۱۳۹۶م

١٣ - أبو الحجاج يوسف، الناصر بن يوسف.

۱۸۰۰ می ۱۹۰۸ می

١٤ - محمد، المتمسك بن يوسف.

٠ ٢٨هـ/ ١٤١٧م

١٥ - محمد الصغير بن نصر.

۱۳۱هـ/ ۱۶۲۸م

محمد المتمسك بن يوسف (للمرة الثانية).

٣٣٨هـ/ ٢٤١٩م

١٦ - أبو الحجاج يوسف بن محمد.

محمد المتمسك بن يوسف (للمرة الثالثة)

٥٣٨هـ/ ١٣٤١م

١٧ - محمد، الأحنف بن عثمان

٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م

١٨ - سعد المستعين بن على.

٩٤٨ه_/ ٥٤٤١م

محمد، الأحنف بن عثمان (للمرة الثانية).

٠٥٨هـ/ ٢٤٤١م

سعد المستعين بن على (للمرة الثانية).

۸۵۷هـ/ ۱٤٥٣م

١٩ - أبو الحسن، على بن سعد.

٨٢٨ه_/ ٣٢٤١م

٢٠ - أبو عبد الله محمد بن على.

۷۸۸هـ/ ۲۸۶۱م

أبو الحسن، على بن سعد.

۸۸۸هـ/ ۱٤۸۳م

٢١ - محمد بن سعد الزغل.

۱۹۸۰هـ/ ۱۶۸۵م

أبو عبد الله محمد (للمرة الثانية).

۲۹۸ه_/ ۱۶۸۷م

استيلاء فرديناند وإيزابيلا على غرناطة.

۸۹۷هـ/ ۲۹۶۱م

* * *

مراجع لزيد من المطالعة

- د. جمال محرز: الرسوم الجدارية في البرطل بالحمراء، مدريد ١٩٥١.
- د. حسين مؤنس: رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود. القاهرة ١٩٦٣.
- د. حسين مؤنس: فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس الشركة العربية.
- د. حسين مونس: مقالات عن الأندلس في مجلة العربي الكويت.
 - على إسلام: إسبانيا والأندلس رحلة عام ١٩٥١.
- د. لطفى عبد البديع: الإسلام في إسبانيا المكتبة التاريخية رقم ٢ القاهرة.
- د. محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال دراسة تاريخية أثرية. القاهرة ١٩٥٦.

: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، القاهرة.

- د. م عبد العزيز السيد: دائرة معارف الشعب، مادة غرناطة.
- د. م م عبد العزيز مرزوق: قصر الحمراء المكتبة الثقافية رقم ٩١.
 - محمد لبيب البتنوني: رحلة الأندلس القاهرة.
- شكيب أرسلان: خلاصة تاريخ الأندلس إلى سقوط غرناطة. القاهرة ١٩٢٥.
 - المقرى: أزهار الرياض.
- Irving, Washington: The Conquest of Granada.
- Hill, Cesilia: Moorish Towns in Spain. Methuen.

* * *

فهرست الصور والخرائط

الصفحة	الصورة
١٤	* خريطة تبين مراحل الفتح العربي في الأندلس
١٦	* العرب في حصار قرطبة وهم يتسلقون الجدران (٧١٢م)
١٨	* تسليم طليطلة لعبد الرحمن الثاني (٨٣٨م)
77	* غرناطة في العصر الإسلامي
٤٤	* مسقط أفقى لقصر الحمراء
٥١	* الواجهة الغربية لباب النبيذ
٥٣	* برج الأسيرة من الداخل
٥٥	* باب الشريعة
٦١	* ساحة الريحان
٧١	* ساحة السباع
٧٧	* قاعة الملوك
٨٤	* تاج واحد من عمد الحمراء عليه نقش كتابي «لا إله إلا الله»
97	* واحدة من مآذن غرناطة (برج كنيسة خوان دى لوس ريس)
9 8	* بوابة دار الفحم
97	* دار الحرة في غرناطة بناها السلطان أبو الحسن بن نصر والد
	أمر عبد الله

الفهرست

ضوع ا	ضوع	المود
،مة	.مة	المقد
مل الأول : فتح العرب الأندلس	بىل الأول : فتح العرب الأندل	الفص
ملوك الطوائف - المرابطون - الموحدون	ملوك الطوائف - المرابطون -	
بىل الثانى : غرناطة فى الفتح العربى	بىل الثانى : غرناطة فى الفتح ا	الفص
غرناطة تقوم على قدميها - غرناطة المرابطين - غرناطة بني	غرناطة تقوم على قدميها - غ	
الأحمر - نهاية غرناطة المسلمين	الأحمر - نهاية غرناطة المسلم	
مل الثالث : الحمراء قبل القرن السابع الهجرى (١٣ م)	بىل الثالث : الحمراء قبل القرن	الفص
حصن الحمراء وأسواره - أبراج الحصن (القصبة) المحيطة	حصن الحمـراء وأسواره - أبر	
بالحمـراء - نقوش برج الأسيـرة - باب الشريعة - قـصور	بالحمـراء - نقوش برج الأسي	
الحمراء - المشور - ساحة الريحان - بهو السفراء (قمارش)	الحمراء - المشور - ساحة الرب	
- حمامات الحمراء - قاعــة الأختين - بهو الأسود - قاعة	- حمامات الحمراء - قاعـة ا	
بني سراج - قاعة الملوك - منظرة اللندراخا - متزين الملكة	بنى سراج - قاعة الملوك - م	
– الروضة – جنة العريف – البرطل	– الروضة – جنة العريف – ا	
بىل الرابع : غرناطة ما زال من آثارها وما تبقى	سل الرابع : غرناطة ما زال من	الفص
آثار العصــر المرابطي والموحدي – آثار بني نصر – مــدرسة	آثار العصــر المرابطى والموحدة	
غرناطة القديمة - المارستان - الفندق الجديد (مخزن الفحم)	غرناطة القديمة - المارستان -	
عق الأول: موجز تاريخ الأندلس العربي من ألفه إلى يائه	عق الأول : موجز تاريخ الأندل	الملح
عق الثاني : بنو نصر بغرناطة	عق الثانى : بنو نصر بغرناطة	الملح
جع	جع	المرا